مجلة شهرية تصدر عن رؤية للتغيير

# يقظة

ملف العدد:

## عام من الثورة

# اذار

حرية كرامة دولة مدنية

إدلب حماه حمص
الأذقية حلب دمشق
بانياس جبلة الدرباسية عا
السويداء ريف دمشق الرقة
مشلي أريحا عندان خان شيخ
داعل بصرى الحرير أعزاز
عطية الباب
درعا
مسكنة
طيبة الإمام
هلبجلبل الزا
إدلب جسر الشغور
بيسير الزهور
حمص
طرطوس

15 آذار 2012
8

اللوحات الداخلية للفنان لؤي كيالي

# افتتاحية العدد

هو عام اذن ولا تصح فيه الاحتفالية لأنها تغدو كالرقص في الساحات . رقص على آلام الناس وعذاباتهم واحتفالية والوطن كله ينتقل يوما اثر يوم من دائرة الخطر الى دائرة الكارثة الوطنية.

إنها محطة واجبة التفكير .

لقد تغيرنا في عام واحد كثيراً جداً .. وأكاد أجزم أنه حتى أولئك الأكثر معاداة لهذه الثورة لا يمكنهم نكران ما فعلته فيهم من تغييرات شملت المفاهيم والتصورات وهزت بقوة وشجاعة ثوابتهم المتخشبة لتقول بجرأة شاب يهتف دون احساس بالخوف .. نحن أبناء الشعب السوري جئنا نحرركم من خوفكم وعقدكم ومراوحتكم واحساسكم الدفين بالهزيمة .

على مدى عام كانت سورية ساحة حرب لجبهات عدة , فرغم طابعها العسكري المعلن , لكنها حفلت بجبهات شتى شملت أدواتاً في السياسة والاقتصاد والاعلام والثقافة وأيضا وفي قلب ذلك كله شملت حربا نفسية تحقيقا لأهداف هذه الأدوات .

وعلى الرغم من عقود تهميشه الطويل يشكل المواطن السوري أحد أهم المواضيع التي تدور حولها المعارك المختلفة اليوم . انه المواطن ذاته الذي سيقت حياته بالقسر لنصف قرن سابق . تأتي الآن منظمات وهيئات وتحالفات وسياسيون ونظام لخطُب وده مرة , ولإرعابه بمستقبل مظلم مرة , وحشره في خيارات ضيقة مرة ثالثة .

هذا المواطن البسيط أدرك بحسه الفطري طبيعة التحولات المحيطة به . وليجد نفسه محط أنظار العالم مستغربا حجم الاهتمام صعوده وهبوطه ولكن شيئا ما لا يتغير وفق المسار العام في يومياته وأمانيه التي تخفت وتتضاءل .

نعم الثورات تعني تضحيات شتى وليست نزهة في العراء ولكن حاجتها للاستمرار والانجاز رهن بأداء أصحاب المصلحة الحقيقية فيها . وهذا المواطن الذي جذبته شعاراتها الانسانية المدنية ودعواتها الجدية بوحدتي الشعب والوطن عليه اليوم تلمس خطاب سياسي عقلاني يقدم له آفاق حقيقية في الحل ليست أبدا مقولة اسقاط النظام كافية لتلبية ذلك .

ربما المعارضة السورية تدرك هذه الحقيقة وتبحث عن أجوبة مناسبة تجنبها مزيدا من الارتباك . ولكن عاما يمر وأسئلة مفتاحية من هذا النوع يجب ألا تحيل حماس الناس الى البرود والانطفاء مع ما يعنيه ذلك من ضياع للفرصة التاريخية .

وحدها خطط تضع مصلحة مجموع السكان بالرغم من الاحتقان الاجتماعي – السياسي , وتتجاوز ما أمكن واقع سورية كساحة صراع دولي , سوف تشكل منارات هداية لسورية التي تبدأ عام ثورتها الثانية وهي مدركة أن صراعها الذي كان يمكن وصفه باستعادة الكرامة يزداد صعوبة وتعقيدا . وتزداد رغبة الناس فيه بقبول هذا المستوى الكبير من التحديات .

في حربين عالميتين أصرت سويسرا حكومة وشعبا على تجنب المحاور والتحالفات . وحين أراد المواطن السوري تغيير حاضره ومستقبله كانت كل الصراعات الدولية حاضرة في حضنه .

رؤية للتغيير

# الاستبداد العربي

عباس بيضون

لم يكن الحجاج خليفة او صاحب تاج او رئيساً مطلقاً. كان مجرد والٍ ويحكم باسم الخليفة وتحت تاجه. ذلك الوقت كان الطغيان من أسس الملك، التي يجهر بها الحاكم ويعلنها ويهدد بها ولا يخشى أن تنسب إليه أو تقرن باسمه. الطغيان قوة والطاغية قوي والحكم يكون قوياً أو لا يكون. لم يكن الحجاج سوى والٍ فصيح وفصاحته جعلته محامي الطغيان ومنظره. قال الحجاج إنه يرى الدماء تترقرق بين العمائم واللحى، ويرى أمامه رؤوساً أينعت وحان قطافها. لا أظن أن العسف والحكم الدموي قيل في يوم بعبارات أصرح وأكثر دلالة وأقوى صوراً وأكثر فناً. حتى لنكاد نقول إن الطغيان هو فن الحجاج ومعلقته وشعره. لم يقل الحجاج العسف فحسب بل قال أيضاً آلياته ووسائله، قال إنه سيأخذ البريء بالمجرم والمطيع بالعاصي ولا يأخذ بالشبهة والظنه فقط، بل يقتل على الاسم حتى ليقال انجُ سعد فقد هلك سعيد. أخذ المرء باسمه وأخذه بمحلته وبلدته وعائلته. بل أخذ البريء بالمجرم والمطيع بالعاصي هما آلة الطغيان فلا يكون الطغيان بضحاياه العصاة بقدر ما يكون بضحاياه الأبرياء. هكذا يحاسب الأخ عن أخيه والأخت عن أخيها والأب عن ابنه والمرأة عن زوجها والعائلة عن بعض أفرادها والعشيرة عن بعض شبابها والمدينة عن بعض أهلها. محاسبة البريء عن العاصي قد تكون منطق الطغيان الحجاجي، بل منطق كل طغيان. بل نكاد نقول إن الحرب الأهلية تصدر من هنا. الجماعة تؤخذ ببعض أفرادها والجماعة تأخذ الجماعة الأخرى ببعض من فيها. هكذا تكون الحرب هي الحرب على البريء أكثر منها على المذنب، حرب على المطيع أكثر منها حرباً على العاصي. حتى يصح أن نقول إن الحروب الأهلية هي مجازر المدنيين ومجازر الأبرياء. وإنها تقوم قبل كل شيء بالمدنيين والأبرياء.

لا أظن إلاّ أن الحكام العرب، ملوكهم وأمراءهم ومشايخهم ورؤساءهم ناقمون على الحجاج. لقد كان فضاحاً وقال ما يحسن طيه بل قال ما هو سر الطغيان وما يخفيه وما يموهه بأي طريقة وما يؤمثله بكل الوسائل وما يقول عكسه على طول الخط. كان الحجاج فضاحاً وسلم سر الطغيان لأعدائه، بل قال في وقت مبكر حقيقته التي يجتهد لسترها وعليه، فإن الحجاج واش وعلينا ان نأخذه بذنب الواشي فهذه، على كل حال، طريقته في الحكم، وهذا ما علمنا إياه.

لا أظن ان أهل مصراطه وتعز والسويس وتونس والمنامة وحمص متمردون جميعهم، لكن هذه المدن أصليت وما يزال بعضها يصلى ناراً حامية. والأرجح أن سلمييها أخذوا بذنوب متمرديها، و«أبرياءها» بذنوب عصاتها، ومحايديها بذنوب ثوارها. والأرجح أن المدن كلها وقعت لذلك تحت العسف وتحولت كلها إلى طواحين دم وترقرقت فيها الدماء بين العمائم واللحى، كما قال الحجاج، وقطفت رؤوسها بعد أن أينعها التمرد.

ليس عندنا هتلر ولا موسوليني. بل ليس عندنا ستالين فهؤلاء حصدوا ملايين وقطفوا رؤوس ملايين وهؤلاء غربوا شعوبا بحالها وأبادوا شعوباً بحالها، وهؤلاء غيروا جغرافية بلادهم وتواريخها وحدودها، وهؤلاء كانوا أنصاف آلهة وعبدتهم شعوبهم كآلهة، لكن أياً من هؤلاء لم تكن له عائلة تشاركه في نعيم السلطة وأموالها، وأياً من هؤلاء لم يكترث بالمال ولا بالمغانم ولم يستبد بخيرات بلاده استبداده بأهلها ولم يملك الأرض وما عليها، ولم يحوّل بلده إلى ملك خاص. لنقل إن أياً من هؤلاء لم يرد سوى السلطة ولم يعبد سوى السلطة. السلطة وحدها بكل آلياتها، بل الطغيان وحده، كانوا طغاة فحسب

وكانوا متألهين وطغاة وعباد سلطة فحسب. كانوا بكلمة واحدة مفتوني سلطة وشغوفي حكم. السلطة وحدها مرادهم لا ما تتيحه من نعم. السلطة وحدها لهم وحدهم لا يشاركهم فيها ابن ولا أب ولا خال ولا عم. كان هؤلاء ديكتاتوريين ملء الديكتاتورية. وإذا تزيدنا قلنا إنهم كانوا ديكتاتوريين حقيقيين. ليس بين ديكتاتوريي العرب، وما أكثرهم، أشخاص من هذا الطراز. بلى ترك جمال عبد الناصر عائلة عادية وكان عبد الكريم قاسم ينام على سرير عسكري في وزارة الدفاع. أما بعد هذين فالديكتاتور أياً كان اسمه، يحمل معه إلى الحكم لا عائلته فحسب ولكن عشيرته وبلدته وجماعته وأهله. بعد هذين يتقاسم الديكتاتور نعيم السلطة ورفاهها ومكاسبها غير المحدودة مع الأسرة والعشيرة والجماعة والبلدة والأهل. بعد هذين يملك الديكتاتور الأرض وما عليها. لا نعرف إلى الآن أين هي أرصدة البترول الليبية وباسم من كان يباع البترول الليبي ونحن إلى الآن لا نعرف أين طار الذهب التونسي وأين طارت المليارات المصرية والمليارات العراقية، وأين طارت مليارات أخرى. الديكتاتور العربي هو كخليفة الأيام الماضية مالك الأرض والناس بل مالك الحياة نفسها، فهو قيّم عليها ينزعها ساعة يشاء وله ملء الحق في أن يحيي ويميت. الحياة الباقية عطية منه والأحياء عبيده ومواليه، والأرض بما حوت فوقها وفي داخلها له. هو الذي يهبها وهو الذي ينزعها. الديكتاتور العربي هو الدولة وكل شيء له وللدولة، والناس وكلاء، الناس أجراء وما في أيديهم من مال وتراث وما يعملون عليه وبه وفيه إنما هو منحة السلطان له الحق في أن يستردها متى شاء. ثم إن الديكتاتور لا يرث وحده بل يرث مع عائلته وعشيرته وجماعته أحياناً. الديكتاتور لا يملك وحده وإنما مع ذويه وأقاربه وأبنائه وأهله، إذا كان ثمة طابع لهذه الديكتاتورية فهو الطابع العائلي، وإذا كان من سمة لها فهي هذه السمة.شتت ستالين شعوباً بحالها وأودى تقريباً بكل من قام معه بالثورة، وصفى ملايين من الناس وأذل وسحق نفوساً كريمة لمناضلين حقيقيين وحكم بمزاجه وعلى مزاجه. لا يغتفر ذلك له بالطبع وستبقى إدانته وإدانة حكمه قائمة، غير أن ستالين لم يسلط عائلته على الناس ولم يملكها الأرض وما عليها ولم يستأثر بخيرات البلد ولا جعله في تراثه وملكه. لقد كان ديكتاتوراً ولا شيء سوى ديكتاتور. أعمته السلطة عن كل ما عداها واستولت عليه بأجمعه. أما عند ديكتاتوريينا فالأمر لا يقف عند السلطة والاستبداد. إنه يتجاوز ذلك إلى الثروة والتجارة والربح بكل المعاني، كما يتخطاه إلى القرابة، والعائلة، هكذا يغدوا الحكم إثراء وهيمنة عائلية، فتحكم العائلة الملكية وتحكم العائلة الجمهورية وتحكم العائلة القبلية والمشيخية وتثري وينتشر نعيم السلطة ويتعمم على طغم مالية وعائلية في ذات الوقت، الاستبداد العالمثالثي له أيضاً خصائصه ومميزاته، إنه وريث الدولة الشرقية والاستبداد الشرقي اللذين يقيمان من الدولة قيمة على الملك والحياة ويجعلان من الجميع أجراء لديها وعبيداً تملك رقابهم ولها حق استرداد الولاية عليهم ساعة تشاء وكيف تشاء. انه الإرث العثماني والإرث المملوكي والإرث العباسي والأموي. ربما نفهم من هنا كيف أن الثورات العربية لها أيضاً خصائصها وميزاتها، إنها ثورات من أجل الحرية كما هي أيضاً من اجل الخبز، فالاستبداد لا ينزع الحرية فقط ولكنه ينزع معها كل حق آخر. إنها ثورات على تراث من الاستبداد لا ينحصر في الأنظمة التي جاوزت عقوداً من السنين ولكنه ضد إرث ثقيل من الاستبداد عمره أجيال. هذه الثورات في مثابرتها واستعدادها للتضحية وإقبالها على الموت وعلى كل خسارة تشبه في ذلك ثورات العبيد الذين يتساوى عندهم الموت والحياة ويتجرعون الموت بترحاب ولا نهاية لتضحيتهم ولقدرتهم على البذل وجودهم بأنفسهم.

# الخوف الكبير حين نكتشفه

حازم صاغيّة

إذا كانت المذابح المتنقّلة ما بين حمص ودرعا مدعاة لشعور بالرعب مؤكّد ومشروع، فثمّة ما هو أشدّ إثارة للرعب هذا: إنّه التفكير، على نحو مقارن، بالنظام السوريّ وبمدى رفضه تأسيس مرحلة انتقال سلميّ للسلطة وإنشاء آليّات توافقها.

فهناك وراءنا تجارب إيقونيّة عدّة في الاستبداد دلّلت على أنّ تعلّقها بنظامها أقلّ بلا قياس من تعلّق الاستبداد السوريّ بنظامه، وعلى أنّ استعدادها لقبول التغيير أكبر بلا قياس من استعداده.

فعلى رغم كلّ ما شاب ماضيه وشخصه، لم يمض عام على تولّيه رئاسة «الحزب الوطنيّ» الحاكم في جنوب أفريقيا، حتّى رفع دو كليرك الحظر عن حزب «المؤتمر الوطنيّ الأفريقيّ» وأطلق سراح نيلسون مانديلا، كما فتح الباب لسنّ دستور جديد للبلاد يقطع مع الماضي. هذا كلّه، وهو إحدى ثورات القرن العشرين الكبرى، تمّ ما بين شباط (فبراير) 1989 وشباط 1990.

نعم، في غضون عام واحد فُكّك نظام الفصل العنصريّ في جنوب أفريقيا!

وفي تشيلي، وفي 1990، سلّم أوغستو بينوشيه، وما أدراك ما بينوشيه، السلطة لرئيس منتخب ديموقراطيّاً. حدث هذا بعد استفتاء أجري في 1988 صوّت فيه 56 في المئة من السكّان، بقيادة «ائتلاف أحزاب اللا» الذي ضمّ الأحزاب المسيحيّة الديموقراطيّة والاشتراكيّة والراديكاليّة، ضدّ استمراره في الرئاسة. أمّا التسوية معه من أجل أن تُضمن سلميّة الانتقال، فقضت ببقائه قائداً للجيش حتّى 1998 واحتفاظه بعضوية شرفيّة لمدى الحياة في مجلس الشيوخ. بعد هذا تغيّر موقعه ووضعه بحيث بات ممكناً استدعاؤه للمثول أمام المحكمة.

وفي بولندا الشيوعيّة، وبعد موجة إضرابات عمّاليّة خلت من كلّ عنف ومن كلّ تعرّض له، وُقّعت «اتّفاقيّة الطاولة المستديرة» الشهيرة بين الحزب الحاكم وبين نقابة «التضامن» العمّاليّة وحلفائها في المعارضة. وبدوره استغرق الوصول إلى هذا الاتّفاق أقلّ من شهرين، ما بين 6 شباط و4 نيسان (أبريل) صير بعدهما إلى إجراء انتخابات هُزم فيها الشيوعيّون هزيمة كاسحة وانتقل الحكم كلّيّاً إلى المعارضين.

مخيفٌ فعلاً أن نكتشف أنّ النظام الأسديّ أشدّ تشبّثاً بسلطته وامتيازاته من أنظمة الفصل العنصريّ في جنوب أفريقيا والشيوعية في بولندا وبينوشيه وعسكره في تشيلي. هذا حتّى لا نذكّر بالمقارنة العربيّة مع نظامي زين العابدين بن علي في تونس وحسني مبارك في مصر اللذين جعلهما نظام دمشق يبدوان في غاية اللطف والوداعة، أو مع نظام علي عبد الله صالح في اليمن الذي لم يشكّل إطلاق النار على المتظاهرين منهجه في الردّ والبقاء.

لقد رفض نظام الأسد الاعتراف بوجود «الآخر» الذي سُلّم السلطة في البلدان المذكورة، إلاّ بوصفه «مندسّين»، قبل أن تتمّ ترقية ذاك «الآخر» إلى «عصابات مسلّحة». وهذا من شيم نظام يرى فعلاً أنّ السكّان والبلد لا أكثر من أملاك خاصّة يمكن، في أيّة لحظة، الهبوط بهم إلى ما دون الإنسانيّ. وبأزوف اللحظة هذه، لم يبق إلاّ الموت أداة للتبادل بين الذين كشفت الرسائل الإلكترونيّة طرق عيشهم وبين العبيد.

عن الحياة 17\ 3 \ 2012

# «ائتلاف وطن» في سوريا:
# سلميّة مدنيّة تعدّديّة

عاصي أبو نجم

بعيداً عن صراع المعارضات السورية، بين أجنحة الداخل والخارج، و«المجلس الوطني» و«هيئة التنسيق»، سجّل الشهر الماضي ولادة لائتلاف معارض يضمّ نحو 14 منظمة مدنية ــ سياسية، معظم قواعدها في الداخل، ويطغى عليها الطابع الشبابي المطعّم بخبراء في العمل السياسي المعارض منذ عقود. المرونة سمة الائتلاف، والعناوين العريضة لا تمنع العثور على خط بياني يجمع ما بين المكوّنات

منذ اندلاع التحركات الشعبية السورية في منتصف آذار الماضي، عادت السياسة الشغل الشاغل للسوريين بعد خلو الساحة لما يزيد على العقود الخمسة من أي عمل سياسي. وفور انطلاق شرارة التحركات قبل نحو عام، بدأت القوى تتشكل وفق مقتضيات محلية وثقافية وبحكم الضرورة المطلبية أيضاً، وتشكلت المجالس والهيئات من رأس الهرم ومن القواعد. تقاطعت وتضاربت وخُوّنت وفُكّكت، ثم أعيد إنتاجها مراراً وتكراراً، ضمن قواعد التكيّف والقدرة على تلقُّف نبض الشارع. وفي زحمة الائتلافات والتحالفات المعارضة، أُعلنت من قلب دمشق، ولادة «ائتلاف وَطن» في 13 شباط الماضي، ليضم مجموعة من القوى والحركات المدنية والاجتماعية والسياسية الحديثة التكوين جميعها، «بهدف تعزيز الانخراط في ثورة شعبنا السوري والمساهمة في تذليل العقبات التي تعترضها، من قبيل المساهمة في إنتاج رؤية سياسية، وردم الهوة بين القوى السياسية والحراك الشعبي، وتعزيز السلم الأهلي»، كما ورد في بيانه التأسيسي الذي يحدّد هدفه «بإسقاط النظام وبناء الدولة المدنية الديموقراطية التي تتطلب لبنائها إقامة أوسع تحالف ممكن يضم كل فئات شعبنا وأطيافه وتعبيراته السياسية».ويركّز بيان «ائتلاف وطن» على «الطابع السلمي للثورة»، فهو «قيمة أخلاقية تتفوق فيها على النظام القمعي واستراتيجيا ناجعة في مواجهته». وفي الموقف من العناوين العريضة المطروحة حول الأزمة السورية حالياً، يشير البيان التأسيسي إلى الحرص على إسقاط النظام «بالقوى الذاتية للشعب السوري العظيم»، ويرى في الانشقاقات العسكرية «استجابة لدوافع أخلاقية سياسية، ونتيجة لإقحام الجيش في قمع أخوته وأهله»، مرفقاً بتشديد على ضرورة «أن يتبع الجيش السوري الحر للقيادة السياسية المفرزة من قوى الثورة». وتناول البيان التأكيد لحقوق الأقليات القومية في إطار الوحدة الوطنية، والحرص على إقامة علاقات متوازنة مع كل دول المنطقة والعالم، مع تسجيله «عتباً» تجاه «الدول التي تقف الآن إلى جانب النظام». وتوقف البيان التأسيسي عند إسرائيل، إذ أكد أن «تحرير أرضنا المحتلّة (الجولان) والوقوف إلى جانب الشعب الفلسطيني في نضاله لتقرير مصيره، ليس محلاً لأيّ مساومات في سياق إنجاز الثورة».باختصار، «ائتلاف وطن» مولود محمّل بالكثير من أمنيات مؤسّسيه، لكن لا أحد يضمن له العمر الطويل في زمن التقلّبات؛ فبين من يرى فيه محاولة لتوحيد المعارضة إلى من يراه بديلاً لها، يبقى مصراً على أنه ليس بديلاً لأحد، ولا «خطّاً ثالثاً ولا رابعاً ولا خامساً، بل مجرد محاولة لتوحيد قوى وناشطين يجمعهم هدف تغيير النظام بالقوى الذاتية والحفاظ على سوريا موحّدة ومدنية وديموقراطية ومعادية لإسرائيل».تجدر الإشارة إلى أن جميع القوى المنتسبة إلى «ائتلاف وطن» في الداخل السوري، تعمل تحت ظروف أمنية شديدة الصعوبة، مع شبه استحالة عقد مؤتمر موسّع يشمل جميع المندوبين والأعضاء، وغالباً ما تكون الأسماء المعلنة هي لشخصيات اعتبارية داخل سوريا أو خارجها.وقد وقّع البيان التأسيسي لـ«ائتلاف وطن» 9 قوى مدنية وسياسية انضمت إليها لاحقاً 5 قوى أخرى: 1ــ حركة معاً من أجل سوريا حرة وديموقراطية». 2 ــ اللقاء الوطني. 3 ــ الكتلة الوطنية في سوريا. 4 ــ تيار مواطنة. 5 ــ ائتلاف اليسار السوري. 6ــ لجنة العمل الوطني الديموقراطي في جرمانا. 7 ــ رؤية للتغيير. 8 ــ اليسار الثوري في سوريا. 9 ــ لجنة دعم الثورة السورية. وعقب إعلان البيان التأسيسي، فإنّ مجموعة أخرى من الحركات المماثلة قد وقعته، هي: 10 ــ حلم. 11 ــ تجمع الطريق. 12 ــ المبادرة الوطنية في جبل العرب. 13 ــ كوادر من الشيوعيين في جبل العرب. 14 ــ حركة التنوير المدني.ما يجمع بين هذه التنظيمات تقارب رؤاها السياسية، ونزوعها إلى العمل المدني السلمي، ورفضها الأخلاقي للعنف، وإيمانها «بضرورة إسقاط النظام كمقدمة ضرورية لبدء عملية البناء لسوريا الجديدة»، ورفض معظمها التدخل الخارجي. وما يلفت الانتباه هو خروجها من مناطق مختلفة، وكثافة مشاركة الأقليات الطائفية فيها، واعتنائها بمسائل مدنية محددة للغاية كالسلم الأهلي، ورغبتها في التجمع للخروج من حالتها المناطقية، ولذلك حين توصَف هذه التنظيمات بـ«المدنية»، فالمقصود يكون سعيها إلى أن تشمل كامل الأراضي السورية.

عن جريدة الأخبار

# الإعلام السوري والكذب ع المكشوف

سحبان السواح

لم يكن الإعلام السوري في يوم من الأيام إعلاما شفافا، وصادقا، دائما كان يزيف الحقائق، ويقف في صف أصحاب نعمته السلطة، وأصحاب رؤوس الأموال.قبل الثورة كانت نشرات أخبار الإعلام الرسمي، والإعلام الخاص، والبرامج السياسية التي تبثها تصب في مصلحة النظام، وتقوم بغسيل دماغ للشعب، وللبسطاء من، ترسم صورة للقيادة على غير ما هي علي، تزيف الخبر وتجعله يصب في مصلحتها، لم تكن هناك ثورة، ولم يكن هناك حراك شعبي، وكنا نعرف ونسكت، ولم يكن أمامنا غير ذلك.قامت الثورة السلمية، وخرج المتظاهرون في الشوارع بداية في درعا وبعدها انتشرت على مدى التراب السوري، وكان موقف السلطة واضحا منذ اليوم الأول لن يسمح لهذا الشعب بنيل حريته وكانت حربه على هذا الشارع المنتفض على خطيين متوازيين، الجيش والأمن ومن جندهم للقتل وسموا بالشبيحة وهو اسم درج في الثمانينات من القرن الماضي وتعود تسميته إلى أتباع للعائلة والذين كانوا يركبون السيارة الشبح وهو اسم أطلق على نوع من سيارات المارسيدس كانت أحدث سيارة مارسيدس حينها، ، وانطلاقا منها كانوا يقومون في اللاذقية خصوصا، بالسرقة والاعتداء على السكان المسالمين وسرقة أملاكهم بالقوة وبعيدا عن أي قانون.بعد استلام بشار الأسد للسلطة خفت حركة هؤلاء بأمر منه حينها ووضع حدا لهم، وهذا بالطبع نوع من التكتيك لإقناعنا أنه مختلف عن أبيه. فتغير تكتيكهم، وما عاد أل اللاذقية يرونهم في الشوارع، ولكن كانوا يسمعون أخبارهم و يتناقلونها، حيث كانوا يمتلكون معظم أملاك وأموال اللاذقية المتداولة.بطريقة أكثر رقيا من التشبيح، فقد إبيحت لهم سوريا من أقصاها لأقصاها بشكل قانوني ولم يعد التشبيح وسيلة للحصول على المال.في دمشق كما في اللاذقية تحول الشبيحة الذين كانوا يعتدون على الشعب المقهور بشكل علني إلى سرقة أمواله بشكل مقونن، ومدروس، بحيث استولوا على كل شركات ومشاريع وأراضي سورية لتكون حقا مشاعا لهم، وكان لآل شاليش أولاد خالة الرئيس ولرامي مخلوف وشركاء لهم من تجار دمشق وحلب حصة الأسد من كل ذلك، ولكنهم ولأنهم يريدون من يكون معم وفي صفهم تركوا الفتات لآخرين أقل أهمية منهم.إذا كلمة شبيحة جاءت من ركاب المارسيدس الشبح الذين كانوا يقتلون من لا يتفق معم ويمنحهم ما يريدون بقلب بارد ودون أن يحاسبهم أحد. هذا هو الوضع السوري قبل أن تقوم الثورة، وقبل ن تبدأ المطالبة بالحرية أولا ثم حين لم يجدوا آذانا صاغية صاروا يطالبون بإسقاط النظام.لم يجدوا آذانا صاغية، وقام الجيش والأمن والشبيحة، التي صارت مأجورة ومركبة من بعض المجرمين المأجورين حيث قامت السلطة باستخدامهم للقتل، تحت ستار وجود مجموعات مسلحة تعتدي على الشعب وقوات النظام لا تفعل شيئا سوى منع هؤلاء من الاعتداء على الشعب.مثل هذه الكذبة المفضوحة جدا، كان يجب على الإعلام تسويقها بشكل يجعل بعض الضعفاء من أفراد الشعب يصدقون تلك الكذبة ويقفون في صف السلطة التي اضطهادهم عبر تاريخها الطويل في السلطة.ولأن من يعمل في أي منصب له فاعلية في سورية لا يعين لعلمه ومعرفته وإنما بالواسطة فقد كان الإعلام كاريكاتوريا بطريقة مضحكة، ولا يمكن أن يصدقه غير ضعاف النفوس والعقول والسذج.كذبة تتلوها كذبة تتلوها قصة ملفقة عن وجود مسلحين يعتدون على الشعب،

ألا يستحق مثل هذا الكلام محاسبة جميع فروع الأمن التي تتالت منذ حكم الأب وخلال حكم الابن لسماحهم بانتشار مثل هذه المجموعات المسلحة، هذا من جهة، ومن جهة ثانية لماذا ظلت هذه المجموعات المسلحة خامدة خاملة طالما لم يكن أحد يحتج على ما يجري في سوريا من سرقة علنية لأموال الشعب، رغم علم الشعب بهذه السرقات ومعرفتهم بأسماء من يقومون بها. لماذا لم تتحرك هذه المجموعات المسلحة، بالاعتداء على هؤلاء اللصوص بدلا من اعتدائها على الشعب المسالم الذي يخرج بصدره العاري يستقبل رصاص الأمن والجيش والشبيحة، فبدأت هذه المجموعات بالاعتداء على الشعب الأعزل بدلا من الاعتداء على من يأكل أموال الشعب. سؤال جدير بالتوقف عنده.ما غاية المجموعات المسلحة من الاعتداء على الشعب الأعزل وأية مصلحة لها في ذلك، هذا ما لم يجب عليه أحد. وكان الإعلام وبدلا من إيجاد أسباب لهذه المجموعات لقتل المتظاهرين، كانت تفتعل أفلاما مفبركة لأفعال هؤلاء وهذه الفبركة كانت مكشوفة وغبية غباء من قام بها، ومن وافق على بثها.المتظاهرون المطالبون بحقهم بالعدالة والحرية ولكي يصل صوتهم للعالم، ولكي يقنعوا العالم بشرعية ثورتهم وما يفعله النظام بهم، بدأوا مستخدمين كاميرات الموبايل لتصوير حراكهم، وكيف يوجه الجيش الرصاص على رؤوسهم وأجسادهم بغاية القتل المتعمد لا بغاية تفريق التظاهر، بل بغاية الانتقام من هؤلاء الذين يطالبون بإسقاط النظام، وإسقاط النظام يعني نهايتهم الحتمية.قناة الدنيا الموالية للنظام ورجالاته، قامت بتصوير وبث ما سمتهم بالمجموعات المسلحة وهم يقتلون المتظاهرين في حماة ورميهم بنهر العاصي مع الصراخ حولهم كما الهنود الحمر كذبة كان يمكن أن تصدق لو أنها صورت بكاميرا موبايل كما يفعل المتظاهرون الفدائيون، ولكن غباء القائمين على المحطة جعلهم يقومون بتصوير هذا الفيلم بكاميرا تلفزيونية ثابتة وواضحة ومع مخرج محترف، كل ما صور كان واضحا كما يصور أي مسلسل. كيف وصلت الكاميرا إلى هناك؟ وكيف كانت الأصوات واضحة كل هذا الوضوح، وهل يمكن أن يصمت القتلة الوهميين على وجود كاميرا تلفزيونية تصورهم وهم يقتلون، وكيف لم يأت الجيش ليمنع تلك المجزرة، كيف تركوا لينهوا عملتهم تلك دون تدخل من أحد.هذا هو الغباء الذي يحكم العقلية التي تتحكم بالبلد، هذه هي العقلية الأمنية التي يحملها أصحاب قناة الدنيا من خلال تعاملهم مع رجال الأمن، وأصحاب النفوذ والسلطة الذين لا يفقهون شيئا سوى تجميع الأموال وإرسالها للمصارف الخارجية لحمايتها من هكذا ثورة.لجميع من يقراني الآن وكان قد صدق تلك الرواية الخيالية والمفبركة أقول لو شغلتم عقلكم قليلا لاكتشفتم الزيف الذي يحمله هذا الفيلم وأفلام كثيرة غيره ولعلمتم أن المجموعات المسلحة ليست سوى اختراع اخترعه النظام ليبرر كل أعماله من قتل وتدمير مدن واعتقالات بالجملة.النظام لن يتخلى عن مكاسبه ببساطة، هذا حقه، ولكن من حقنا أن لا نصدق أكاذيبه ونستمر بالتظاهر حتى يقتلوا أخر رجل في سورية.

# صباح الخير أيها الفساد

عارف حمزة

نعم. أصبحنا نقول: صباح الخير أيها الفساد. إذ أننا عندما نستيقظ، لم نفقد هذه العادة المجانية والحزينة، نقول لأكثر شيء حضوراً في حياتنا، وربما عزيزاً على حياتنا، "صباح الخير". هذا إذا ما زلنا نملك اللياقة، وربما القدرة القلبية، التي تجعلنا نردد جملة أصبحت بائتة ومخجلة مثل جملة صباح الخير. ولأن الفساد أصبح في كل مكان، وبهيئات مادية وغير مادية ومنظومات كثيرة، وفي أوقات ما عدنا نخصص لها وقتاً محدداً، فإن بإمكاننا أن نقول، براحة ضمير ومن دونه وبالفم المليان: صباح الخير أيها الفساد.

من غير الممكن أن نتحدث عن الفساد كشخص محدد فذلك أصبح من الماضي البعيد. لأن الفساد، بدوام كبره وشراسته وانبهار الآخرين به واتباعه بضمير ومن دون ضمير، أصبح يكبر ويكبر ويتحول من بنية مادية إلى بنية معنوية. بمعنى آخر. أصبح الفساد منظومة كاملة تحدد هي، ويا للأسف، قوانين الحياة: في البيت والمدرسة والجامعة، ومناهجها وعلاقاتها وموظفيها والمنظومة التربوية، والشارع والنادي الرياضي، والمنظومة الرياضية، والمركز الثقافي، والمنظومة الثقافية، والمصانع والمؤسسات التجارية، والعلاقات داخلها وحولها وفوقها وتحتها والمنظومة الاقتصادية، وخدمة العلم والمحاكم، بقضاتها ومحاميها ومراجعيها والمنظومة القضائية، والابن والأب والبنت وصديقها وصديقتها والمنظومة العائلية... وحتى روضة الأطفال إذا مررنا بجانبها يوماً سنقول للفساد، ونحن نسلم فلذات أكبادنا وأقساطهم، بعفوية الأب الجريح: صباح الخير.

من غير الممكن أن نتحدث عن الفساد في مكان ما وبشكل محدد، لأن الفساد أصبح في كل مكان. أصبح يجري في عروقنا بدلاً من الدم، وفي رئاتنا بدلاً من الهواء، وفي قلوبنا بدلاً من المشاعر الصادقة وغير الصادقة، وفي عيوننا بدلاً من الدموع، وفي أيدينا بدلاً من الأيدي التي كنا نصافحها بخجل قبل أن تهرب إلى خارج البلاد هرباً منا ومن الفساد، وخلف ظهورنا بدلاً من دعاء الأمهات، وفي النوم بدلاً من الأحلام، وفي الحدائق بدلاً من العصافير نعم. أصبحنا نقول: صباح الخير أيها الفساد. إذ أننا عندما نستيقظ، لم نفقد هذه العادة المجانية والحزينة، نقول لأكثر شيء حضوراً في حياتنا، وربما عزيزاً على حياتنا، "صباح الخير". هذا إذا ما زلنا نملك اللياقة، وربما القدرة القلبية، التي تجعلنا نردد جملة أصبحت بائتة ومخجلة مثل جملة صباح الخير. ولأن الفساد أصبح في كل مكان، وبهيئات مادية وغير مادية ومنظومات كثيرة، وفي أوقات ما عدنا نخصص لها وقتاً محدداً، فإن بإمكاننا أن نقول، براحة ضمير ومن دونه وبالفم المليان: صباح الخير أيها الفساد.

من غير الممكن أن نتحدث عن الفساد كشخص محدد فذلك أصبح من الماضي البعيد. لأن الفساد، بدوام كبره وشراسته وانبهار الآخرين به واتباعه بضمير ومن دون ضمير، أصبح يكبر ويكبر ويتحول من بنية مادية إلى بنية معنوية. بمعنى آخر. أصبح الفساد منظومة كاملة تحدد هي، ويا للأسف، قوانين الحياة: في البيت والمدرسة والجامعة، ومناهجها وعلاقاتها وموظفيها والمنظومة التربوية، والشارع والنادي الرياضي، والمنظومة الرياضية، والمركز الثقافي، والمنظومة الثقافية، والمصانع والمؤسسات التجارية، والعلاقات داخلها وحولها وفوقها وتحتها والمنظومة الاقتصادية، وخدمة العلم والمحاكم، بقضاتها ومحاميها ومراجعيها والمنظومة القضائية، والابن والأب والبنت وصديقها وصديقتها والمنظومة العائلية... وحتى روضة الأطفال إذا مررنا بجانبها يوماً سنقول للفساد، ونحن نسلم فلذات أكبادنا وأقساطهم، بعفوية الأب الجريح: صباح الخير.

من غير الممكن أن نتحدث عن الفساد في مكان ما وبشكل محدد، لأن الفساد أصبح في كل مكان. أصبح يجري في عروقنا بدلاً من الدم، وفي رئاتنا بدلاً من الهواء، وفي قلوبنا بدلاً من المشاعر الصادقة وغير الصادقة، وفي عيوننا بدلاً من الدموع، وفي أيدينا بدلاً من الأيدي التي كنا نصافحها بخجل قبل أن تهرب إلى خارج البلاد هرباً منا ومن الفساد، وخلف ظهورنا بدلاً من دعاء الأمهات، وفي النوم بدلاً من الأحلام، وفي الحدائق بدلاً من العصافير

إسلام أبو شكير

# النظام يختطف الوطن ويساوم عليه

مساء الخير صديقي العزيز: «

تأخّرتُ في الردّ على رسالتك لأنّها في الحقيقة وضعتني أمام مأزقٍ أخلاقيّ صعبٍ ومعقّد.. لن أتحدّث عن الاختلاف في المواقف، فهذا مما أعدّه طبيعيّاً، بل ضروريّاً ومطلوباً، لاسيّما في الأزمات، كهذه التي يمرّ بها الوطن..

ما يهمّني هنا أمر واحد.. هو هذا الذي تتخوّف منه أنت، وأتخوّف منه أنا، ممّا سيعانيه الإنسان البسيط المغلوب على أمره في بلدنا جرّاء القرارات الأخيرة بالمقاطعة والحصار والعزل التي تعرّض لها النظام في سوريا.. وأنا لا أشكّ في أنّ ذلك كلّه سينعكس ضرراً مؤلماً ومباشراً على حياة ذلك الإنسان..

عند هذا الحدّ نبدو متّفقين تماماً، لكنّنا قد نختلف فيما بعد ذلك.. أي في تحديد الجهة التي ينبغي مساءلتها ومحاسبتها، والضغط عليها لإنقاذ هذا المواطن..

من الضروريّ هنا الإقرار بأنّ المسؤول عن هذا كلّه هو النظام نفسه الذي اختطف البلد (سياسيّاً واقتصاديّاً وعسكريّاً)، وجعله رهينةً بين يديه، فإمّا أن يبقى، وإمّا الخراب.. لصوصيّة من الطراز الأوّل، ولا يصحّ في حال من الأحوال أن نستسلم لها، ونتغاضى عنها. إنّ الحرص على مصلحة المواطن المقهور لا تعني الاعتراف بحقّ النظام في ممارسة نزواته المريضة المنحرفة، كما لا تعني تأجيل عمليّة المواجهة ريثما تتوافر ظروف أخرى من شأنها أن تجعل الخسائر أقلّ إيلاماً، فهذه الظروف لن تتوافر أبداً، والنظام سيظلّ متشبّثاً بسياسة الابتزاز التي يمارسها الآن، مطبقاً بقبضته الرهيبة على عنق الوطن، ومستعدّاً في كلّ لحظة للإجهاز عليه.

هنا بالضبط تأتي خطورة المواقف الصامتة أو الملتبسة. ثمّة شريحة عريضة وواسعة في وطننا تخشى مواجهة النظام خوفاً على البلد، والنظام يستغلّ مخاوف هذه الشريحة للتمادي في جرائمه، وللاستمرار في طريقته التعسفيّة في إدارة الأزمة. لذلك فإنّ هؤلاء مطالبون سريعاً بأن ينفضوا أيديهم كلياً عن النظام، وأن ينضمّوا إلى هذا الحراك الثوريّ، لينقذوا البلد، وليقطعوا الطريق على أيّة مؤامرة يعدّ لها.. ولا جدوى من إلقاء التهم على الجامعة العربيّة، أو تركيّة، أو فرنسا، أو أمريكا، أو إسرائيل، لأنّ هذا حرف للقضيّة عن مسارها، واستجابة لما يخطّط له النظام ويريده.. إنّ السكوت، والاكتفاء بتوجيه أصابع الاتّهام إلى أطراف معيّنة بأنّها وراء ما يحدث، ليس إلا تنصّلاً من الواجب، وارتكاناً إلى حلولٍ كسولةٍ، يخلي الإنسان نفسه فيها من أيّ مسؤوليّة تجاه وطنه..

النظام يا صديقي يدرك أنّه في طريقه إلى السقوط، لكنّه يريد أن يعطي لسقوطه معنى ما. يريد نوعاً من السقوط يحفظ له ما يظنّه كرامةً، ويهبه ما يعتقد أنّه بطولة.. وليس أسهل في سبيل ذلك من استجلاب طرفٍ خارجيّ. هو يريد أن يسقط شهيداً، تماماً كما حاول صدّام حسين والقذّافي قبله، ولو كان ذلك على حساب البلد ومستقبله.. فالسقوط بيد الأجنبيّ من شأنه أن يوهم البعض بأنّه ضحيّة، وأنّه سقط لا دفاعاً عن مصلحة ضيّقة، بل عن الوطن وحريّته وسيادته.. لا أجد تفسيراً آخر لهذا الاستفزاز المتعمّد للمجتمع الدوليّ، وتحدّيه، وانتهاك قوانينه.. يحدث الأمر كما لو أنّه يقول: أنا هكذا.. فإمّا أن تقبلوني، وهذا ما أريد، وإمّا أن تتدخّلوا عسكرياً لإزاحتي، وسأكون بطلاً عندئذٍ..

ولا يعني ذلك أنّني أنفي عن الخارج أيّ مطامع، لكنّ المسألة هنا: من الذي يسهّل لهذا الخارج طرق تنفيذ مطامعه؟.. النظام هو الذي يعقّد الموقف شيئاً فشيئاً، ويكذب، ويماطل، لا أمام الآخرين، بل أمام شعبه، ويلغي كلّ الخيارت المتاحة للوصول إلى نهايةٍ سلميّةٍ تحفظ للوطن سيادته، وتعطيه حريته.. وأنا وأنت نعرف جيّداً أنّ النظام ليس صادقاً في وعوده، وأنّ الأمر لا يعدو كونه محاولةً للسيطرة على الموقف، والتقاط الأنفاس.. وعندما أدرك أنّ الناس قد حسموا أمرهم، وأنّ الموقف لم يعد في صالحه، أخذ يدفع باتجاه التدويل، عبر الإمعان في القتل والحصار والاعتقال والمطاردة واختراق كلّ الشرائع الإنسانيّة، والمبادئ الأخلاقيّة.. نعم لقد اتخّذتها القوى الأخرى ذريعةً للتدخل، لكنّ النظام هو الذي أعطاها هذه الذريعة..

ما الحلّ إذاً؟..

الحلّ في أن يرفع السوريّون ـ لاسيّما أولئك الذين يمتلكون الوعي والضمير والحسّ الوطني الصادق ـ الغطاء عن النظام، ويستجيبوا لإرادة الشعب في إسقاطه قبل أن تقع الكارثة. أمّا المخاوف من مستقبل مجهول، فلا محلّ لها، لأنّ الأمر ببساطة يتعلّق بإرادتنا جميعاً.. لنكن جزءاً من الثورة، ولنفوّت على الآخرين الفرصة في تحقيق تطلعاتهم التي لا تعجبنا، أو التي لا تتّفق مع قناعاتنا ومبادئنا، أو التي تتعارض مع مصالحنا ، وليكن المستقبل من صنع أيدينا..

أرجوك يا صديقي.. أنا أيضاً متخوّفٌ ممّن سيأتي ويبدأ حكمه بأوامر تلزمنا بإطلاق اللحى، وتقصير الثياب، لذلك أريدك إلى جانبي، وأريد معك كلّ الشرفاء الواعين.. نريد لهذا البلد أن يكون لنا، وهو لن يكون لنا إلا إذا قمنا نحن بتغيير واقعه، وإلاّ لن يحقّ لي ولا لك أن نبكي على المصير الذي سنواجهه..

# قوّة الترميز ومسكونيةُ التوثين وشبقُ العبادة

خالد حاج بكري

خارج التراصف والرمز لا ميزة للغة، وفيهما ملامح سرّ الإنسانية الأكبر، وعلى الرغم من أنّ التوليد العبقري للكلمات أهم منجزات البشر، فإنّ القول بكون اللغة برهانا على سموّ مقام الإنسان يظلّ مرتبكا وسطحيًا يفتقر إلى التعيين الصارم، لأنّ الصوت تطلقه الكائنات جميعا، والتحويلُ العبقريُّ للتأتأة إلى رموز، فرادةٌ لا تسوّغ الاستقواء وإعلان السموّ.

أمّا الفكرُ فلم يثبت لنفسه، ولا لنا، بعدُ، إلا قدرتنا على صنع الغواية والشعبوية والأبطال الميامين والمخلّصين، ولم يستطع أن يبوح بأسرارنا لغيرنا؛ ليلفتَ انتباه الغرباء إلى نجاحاته المذهلة في تقسيم البشر إلى عبيد ومارقين، فمثلُ هذه اللفتة كان يمكنها أن تسفر عن تخصيب كونيّ، وبقي رخًا يتيما يطير في هواء الأرض وأهوائها، وسفينة وحيدة تمخرُ في عباب البشر وحدهم، لا جواب لعناد صوتها، ولا سفن في الجوار تنتشل مَن يتساقط منها، ولم يحقق قفزة تؤهله ليكونَ هوّية ومعنى؛ فعلى مستوى الخير المطلق، لم ننتقل بعدُ إلى لحظة تسمو بنا حقًا على كائنات الطبيعة الأخرى، ومازلنا نميل إلى حذف خصومنا بالعنف، ولم نتوقف عن إدارة صراعاتنا وفق قواعد الغابة، وعلى المستوى الوجوديّ فإنّ الفكرَ الإنسانيّ أخفق في وعي الضحك الجذل، وأدار رحى الحروب، وتمنطق به الطغاة، ومازالوا يفعلون، ولم يُنتج سوى ابتسامتين، إحداهما: مفعمةٌ بالشماتة، والأخرى: مشبعةٌ بالذلّ والصُفرة، ولذلك، فإنّ انفرادنا بصناعته اختلافٌ، لا تميّزٌ، فالحيوان يصل إلى ساحات الوغى بغريزته، ونحن تحملنا إليها عينها: المعاني المفخخة باكتمالها ونهائيتها.

ومادام الفكرُ مشدودا إلى الإيديولوجيا، ولا يتمخّض إلا عنها، وقد أعيد طلاؤها بألوان جديدة تعجزعن إخفاء جوهرها، فإنني أخشى القول، أننا لا يحسنُ بنا انتظار منظومة جديدة تؤول إلى نهائية تخليصية أخرى، ولعلّنا في غير حاجة أيضا إلى تركيب توليفات دوائية، تعدُ بتطهير الإيديولوجيات السالفة من تشويهاتها، انسجاما مع إشاعات براءتها من "الدنس "؛ لأننا سنخسرُ بتبرئة الفكر وتجريم البشر ذواتَنا المتحركة، وسيربحُ التجريدُ ويشمخُ مجددا بقداسته التي نتحلق حولها مطأطئي الرؤوس.

تجدر الإشارة أنّ بعض الفلاسفة هَجَسَهم فكُّ الارتباط بين الفكر والإيديولوجيا، فقد عمل "سارتر " على تخليص مفهوم الحرية من عوالقه الوجودية المسكونة بالتمجيد، وحاول "هيدغر" اصطحاب الفكر بعيدا عن الحتمية؛ عبر تحرير مفهوم "الديزاين " من المطلقات والنهائيات، وأوغلت الفسحةُ النيتشويّةُ التي اتهمها " المتعقلنون " غير مرة بالتطرف والخبال، في مخاصمة الأفكار التي تعلن كمالها وقدرتها على تسيير شؤون البشر في كلّ زمان ومكان.

ولكنّ الحسرة كانت بالمرصاد، فقد تحول السارتريون في غمضة عين إلى " كهنة "، والهيدغريون إلى " واعظين " يحذّرون من تجاوز مضبوطية مفهوم " الديزاين "، وأحرق النيتشويون البخور في هياكل رَجُلهم، حتى إنّ الأكاديميّ الرصين السيد " سلوترديك" ذهب إلى أنّ كلمات " زرادشت " نيتشة تعادل إنجيلا خامسا! ولم ينجح نقدُه القداسة من حيث كونها احتمالا مفتوحا وزلّة قدم خطرة بتفادي الشَرَك.

وهكذا، وقبل ذلك بكثير، وبعده، فقد استعرت حميّةُ الدفاع حتى الموت عن صحة الأفكار وطهرانيتها، واستحالت نمطا من " الإيمان " تنافى مع الحرية والنسبية والتعددية، فلم يقزّم هذا النمطُ الديموقراطية فحسب، بل عصف بمسيرة الفكر نفسها أيضا، وتبينّ أنّ للتطهيرية ذات المنشأ الغيبيّ كوارثُها على صفقة التمايز عن الوحوش؛ وإمكانيات صياغة الدساتير التعايشيّة.

ونجح الحضورُ الضاغطُ لهذا " الإيمان "، بما طواه في أعطافه من انقياد إلى النظريات النهائية وتهميش للذات، في صرف الأنظار عن النسبية، وأولوية الحرية، وحيوية مفهوم الديموقراطية، وحوّل هذه القيم إلى ألعاب تداولها السياسيون، وباعها رهطٌ من المفكرين في أسواق مصالحهم، الأمر الذي جعلها مثارا للسخرية والتهكم في قرى الصفيح الجنوبية، وعقبات يمكن تجاوزها في مدائن الرفاه الشمالية، ونظرتان متفحصتان يلقيهما مشاكسٌ مشكك على مسار ممارستين ديموقراطيتين، كافيتان للكشف عن مهزلة صندوق الاقتراع هنا، وانضباطه إلى جانب رؤوس الأموال والقوى هناك.

ومع ذلك، فإنّ الإقرار بإخفاق الفكر في عراكه الصامت مع الأدلجة، ونجاحه في نفي الإنسان إلى الهامش، يمكنُه أن يشكّل مدخلا لنقد الآليات التي عمل عليها الفلاسفة والدعاة والسياسيون، وقد يلعب صعود " البراغماتية المحدَّثة " على أنقاض الحطام الماركسيّ الذي شكّل بداية تقويضية تعسّر على المجتمعات هضمُها، دورا محوريًا في التأسيس لعمليات نقد بوسعها أن تطال ارتباط الفكر الرحميّ المفزع بالإيديولوجيا.

والبراغماتية التي يصبّ المثاليون لعناتهم بلا حساب على تبسيطيتها وافتقارها إلى الاستراتيجيتين الأخلاقية والوجودية، قد تمثّل مستقبلا الخصمَ الأوحدَ للفكر الذي ينقلب في ساعة ذئبية إلى قضبان وهياكل وطقوس، وإذا كان ثمة فرصةٌ توفّرُها بعد طول تغوّر أمام قيم النبالة والفروسية، فهي إمكانيةُ النيل من الطهرانية التي أسقَطت على امتداد السنين الإنسانَ المتحوّل، ومجّدت المعنى الثابتَ بجلافة.

أليس غريبا الزعمُ أنّ العلمانية احتجزت المقدس، في الوقت الذي تبحث فيه الشفاهُ عن أيدي الكهنة؟؟ أيمارس البشر الحرية، ويأوون إلى معابدهم عند العشية باكين معتذرين عن كمّها المفرط؛ ليومئوا أنّ الروح تحتاج إلى المسكنة والسكينة أضعاف احتياجها إلى الهواء؟ وحتّامَ يجادل الباكون الغارقون في الذنوب الدنيا بأسرها، أنّ نذورَهم وبخورَهم يمكنها أن تشاغلَ المقدّس؟ فلنسأل أسطورة الحداثة: أيهما أجدى لتوطين الطهرانية المنعزلات الباردة: إنزالهُا إلى مستوى الآدمية؟ أم السيرُ حفاة في ظلالها المباركة، وإضاءةُ الشموع حول هياكلها النحاسيّة؟

وإلى أن يترنّح يأسُ البشر من الإيديولوجيات على تنوّعها وتعدد مصادرها، وننجحَ في تخطي حالات البلبلة التي تسم بميسمها الاضطرابات السياسية والمآزق الاقتصادية الدراماتيكية، وجحيم سقوط الهياكل الاجتماعية التي شيّدها الإنسانُ بالطغيان تارة، وبعُقَد الذنب تارة أخرى، فإنّ الأصوبَ أن نرطنَ بالقول: إننا تميُّزُنا قوّة "الترميز"، ومسكونيةُ " التوثين" وشبقُ "العبادة"، ولا شيء سواها، تلك التي نرثها ونوّرثها، تلتهمُ طفولتنا، وتهضمُ يفاعَنا، وينحلُّ فيها نضجُنا، وتشرئبُّ " ملعونة " بحكمة كهولتنا، والأحرى أن نجهرَ بأنّنا نصنعُ وثنَنا، ولا نلبث أن نحطّمه، ونبتدعَ غيرَه، لتبقى طاقةُ التوثين فينا ماءَنا الذي لا يجفّ، ونيرانَنا التي لاتترمّد.

حرية
عدالة
كرامة
دولة مدنية
سوريتي
عام من الثورة

# عام من الثورة المستحيلة

ياسين الحاج صالح

الثورة السورية مستحيلة. انطلقت قبل عام، واستمرارها محقق، لكنها مستحيلة. هنا عظمتها، ولكن هنا أيضاً منبع مأسويتها. مصارعة المستحيل مكلفة جداً.

ولكن، لماذا هي مستحيلة؟

طوال أربعين سنة جرى تنظيم المجتمع السوري بحيث ينفجر على نفسه إذا خرج على تنظيمه المتمركز حول سمو حاكميه عليه، سياسياً وإنسانياً. إنه نموذج «المجتمع المفخخ». وهو تفخيخ مزدوج بعدُ: أمني من طريق عدد كبير من الأجهزة، ومن المخبرين «النائمين»، الذين «يصحون» عند الطلب؛ ثم من طريق أزمة ثقة وطنية عميقة، متعوب عليها، تباعد بين السوريين على أسس أهلية، وتنذر بتحويل «الثورة» على النظام إلى «فتنة» أهلية. ومن أوجه أزمة الثقة هذه انقسام مزمن ومُعنِّد للمعارضة السورية، لا يفهم هو ذاته إلا بدلالة استبطان النظام سياسياً ونفسياً وأخلاقياً، ويبدو حائزاً من الصلابة المقدار الذي تحوزه الانقسامات الأهلية ذاتها.

حتى ثورة شعبية، واسعة القاعدة البشرية والقيمية، مثل الثورة السورية، لا تكاد تحبط ذاك التفخيخ المزدوج، المعزز فوق ذلك بعنف بلا ضفاف، جعل المجتمع السوري خلال نصف قرن مثالاً للمجتمع المعنَّف، التعيس.

إلى ذلك، سورية عالم مصغر، يحمل تناقضات العالم الكبير كلها، ولا يزيد نقص تشكله السياسي إلا في استحقاقه صفة النموذج المصغر عن عالم أكبر. البلد حديث الكيان، عمره **94** سنة بالكاد، ضعيف التشكل وطنياً. وهو عالم مصغر دينياً، فيه من المذاهب الإسلامية ما ليس في بلد عربي آخر، وفيه جماعة مسيحية مهمة قديمة، وهو إن كان يخلو من اليهود اليوم فقد كانوا هنا قبل حين. لكنهم لا يزالون هنا تقريباً. فسورية تجاور دولة اليهود في فلسطين، وتجمعها بها علاقة تجمع بين العداء الصريح والأمان الغريب. وإنه لسر معلوم للجميع أن إسرائيل تفضل استقرار نظام غير متصالح معها لما يوفره من أمان على جبهة الجولان، يفوق ما وفرته معاهدتا سلام مع مصر والأردن على الحدود المشتركة. تفضل إسرائيل هذا الاستقرار على تغير سياسي في البلد قد يأتي بشياطين مجهولة. كل الاحتمالات الأخرى سيئة إسرائيلياً، سواء كانت حكماً وطنياً أكثر حساسية لضغوط السوريين ومطالبهم، أو حكماً إسلامياً، أو حالة من الفوضى وعدم الاستقرار. هذا نسق غريب للعلاقة بين دولتين تحتل إحداهما أرضاً للأخرى.

للجوار الإسرائيلي غير السعيد أثران يعقّدان كل شيء في سورية. أولهما أنها نظام للاستثناء العالمي، يحظى بالمسامحة والصفح مهما فعل. وقد عملت كشبيح إقليمي متمتع بالحصانة طوال تاريخها، الأمر الذي يحكم على الكلام الغربي عن حكم القانون والعدالة والديموقراطية بالتهافت. ومن جهة أخرى، تقوم إسرائيل على أساس الدين والماضي السحيق، الأمر الذي يشكل استثناء عالمياً بدوره، يصعب فهمه على عرب وسوريين لطالما وُعِظوا بفضائل طي صفحات الماضي وإبعاد الدين عن الحياة العامة. ويعزز هذا الاستثناء المزدوج ميول الشك بالغرب ومقاصده، ويصعب كثيراً أمر التعلم منه، دع عنك التماهي به؛ كما يقوي مواقع القوى والتيارات الأقل ليبرالية في مجتمعاتنا والأشد ميلاً إلى الهيمنة، القومية والإسلامية بخاصة.

وبفعل ذلك وجد غير قليل من معارضي النظام السوري، قوميين وشيوعيين بخاصة، مستلبين حياله، يتملكهم شعور بالذنب إن قطعوا معه، كأنهم أبناء قُصّر لأب قاس. وهذا ما يجعلهم اليوم عبئاً على الثورة، وأقرب إلى سند للنظام.

وإلى النحس الإسرائيلي، تقع سورية على ضفاف حوض الطاقة العالمي الرئيس في العراق والجزيرة العربية وإيران، من دون أن تحوز هي ذاتها إلا ما لا يذكر منها. منح هذا الموقع المنطقة أهمية عالمية لا تضاهى، ورفع من قيمة الاستقرار فيها على حساب العدالة والحرية. وبالفعل عرفت المنطقة استقراراً مميتاً طوال أربعة عقود، ولم يتعارض استقرار الأقوياء هذا يوماً مع كثير من العنف والموت فيها، ذهب ضحيته الضعفاء.

سورية كانت مثالاً لهذا الاستقرار، إلى حد أن «الجمهورية العربية السورية» كانت طليعة البلدان العربية في التحول نحو حكم وراثي ضمن الأسرة الأسدية، وبكفالة عربية وعالمية لا ريب فيها.

وفي سنوات الرئيس الوارث تشكّل مركّب سياسي ذو أبعاد إقليمية تتجاوز ما كان تحالفاً أيام الأب المؤسس بين النظام (في نواته السياسية الأمنية) وكل من إيران و «حزب الله» إلى ما يقارب نظاماً واحداً مشتركاً. تمتزج في هذا المركّب بين «قلب العروبة النابض» وبين دولة غير عربية وتنظيم طائفي مسلح في بلد عربي، عناصر جغرافية سياسية واستراتيجية، مع عناصر دينية و «طائفية»، مع عناصر اقتصادية ومالية، تسبغ عليه مقداراً كبيراً من الصلابة واللاعقلانية معاً. ونشتبه بقوة أن في هذا المركّب يكمن سر منطق «المعركة الفاصلة» التي يبدو أن النظام يخوضها ضد محكوميه، وإقباله الجذِل على قتلهم والتنكيل بهم. كأن أصداء العصور وأشباحها تنتاب أرض الشام العريقة.

وعلى هذا النحو تتلاحم بنى داخلية مع شروط عالمية مقيدة ومع تشكيلات إقليمية عصبية، لتجعل سورية عالماً مصغراً، يصعب أن يتغير وحده. قد يحصل تغير من نوع ما في سورية، بل إن هذا مؤكد فعلاً. لكن تغييراً تحررياً حقاً يقتضي تغيراً أوسع في البيئتين الإقليمية والدولية. هذا لا ينطبق على تونس ومصر، وهما بلدان أمتن تشكلاً، غير مفخخين داخلياً وغير منشبكين في تركيبات إقليمية ودولية على هذا المقدار من الالتواء. ولا هو ينطبق على ليبيا الضعيفة التشكل التي لا تكاد أن تؤثر تغيراتها على غيرها... ولا على اليمن والبحرين أيضاً.

الثورة المستحيلة وقعت مع ذلك. لكن مغالبة المستحيل مأسوية مثل منازعة القدر في التراجيديا اليونانية. ترى، ما الذي نشهد عليه غير مأساة متمادية، يقف العالم أمامها مشلولاً، تتنازعه دواعي الإقدام والإحجام فتلغي بعضها، وتنتظم الانقسامات العالمية والعربية، وانقسامات المعارضة السورية أيضاً، بصورة ليست منعدمة التأثير في المأساة فقط، وإنما تندرج فيها وتشكل جزءاً من مشهدها؟

وهل يتفرج العالم على التراجيديا السورية طوال سنة إلا لأنه يتعرف فيها إلى صراعاته وتناقضاته وشياطينه؟ لعله يخشى حرباً عالمية صغرى حول هذا العالم الصغير، الوحشي؟

# الانتفاضة: الواقع والظلال

سلامة كيلة

أصبح واضحاً أكثر مما كان تأثير ثنائية الإعلام/ المعارضة على الانتفاضة السورية. وقد رُسمت للانتفاضة صورة في الإعلام ليست منها. وهنا أقصد الإعلام «المؤيد» لها ولا أقصد إعلام السلطة الذي رسمها منذ البدء (وحتى قبل أن تبدأ) في صورة عممها ولا يزال يكرر تعميمها. ولن يكون مفاجئاً إذا ما تلمسنا بأن الإعلاميين يتوافقان في الصورة المرسومة.

هذا الواقع هو الذي زاد «الدوز» المطالب برفض مواقع إلكترونية لأنها لا تخدم الانتفاضة (ومنها موقع الثورة السورية ضد بشار)، أو بالإشارة إلى دور القنوات الفضائية مثل الجزيرة والعربية التي تنقل وجهة نظر وحيدة بعيدة عن الواقع. أو حتى النأي عن عديد «القيادات» التي تملأ الإعلام متحدثة باسم الثورة.

فمن يتابع الإعلام «الداعم» يتأكد من أن رواية السلطة صحيحة، أو يتشوش ولا يعود يعرف شيئاً مما يجري على رغم الوقوف إلى جانب الثورة. حيث أن المنطق العام لهذا الإعلام يريد أن يصوّر الانتفاضة من منظور «أيديولوجي» ضيق ذي طابع «ديني». وللجزيرة هنا الدور الأهم في تصوير الانتفاضة، منذ البدء، بأنها انتفاضة «إسلامية» (هذا إذا لم يكن يسرّب بأنها تقاد من قبل جماعة الإخوان المسلمين). ولهذا يتركز التصوير على اليافطات «المعدة سلفاً» التي تخدم هذا التوجه، من دون ذكر ليافطات أخرى. وإذا كانت في المرحلة الأولى تنوّع في المعلقين الذين تستضيفهم أو تتصل بهم، فقد حصرت المسألة بـ «الهيئة العامة للثورة السورية»، التي هي تشكيل إعلامي له مراسلون على الأرض ولا يمثل التنسيقيات (على رغم أنه يُعرض كممثل للتنسيقيات)، وهو من صنع الإخوان المسلمين. فقد باتت الهيئة المراسل والمعلق لهذه القنوات، وأيضاً المعد للصور واليافطات المطلوبة.

وقناة الجزيرة تهتم هنا بهذا الطابع «الإسلامي» انطلاقاً من «رسالتها الخالدة» التي أصبحت تتعلق بالتحضير ودعم الإسلاميين لكي يحققوا الوعد بالوصول إلى السلطة لإقامة الخلافة كما بشرنا إسلاميو تونس ومصر بعد «انتصارهم» في الانتخابات.

لهذا أصبحت أيام الجمع تسمى من قبل موقع الثورة السورية ضد بشار، رغماً عن التصويت، وتعمم من قبل القنوات الفضائية، وتكتب لها يافطات ترفع في التظاهرات من قبل شباب منتفض لا يهمه اليافطة (وفي الغالب لا يعرف ماذا تقول). ومعظم التسميات كانت فاجعة لتخلفها وأصوليتها، و «بدائيتها» (يكتبها ربما طفل في الصف الأول، أو تكتب لطفل في الصف الأول. لهذا نكزها أبطال كفر نبل في تسمية من العيار ذاته هو: جمعة البرد يقتلني). وإذا كان الإخوان المسلمون يعدون لتشكيل هيئة تحضّر لطلب التدخل العسكري منذ الشهر الأول للانتفاضة، وبدأوا بتسريب اسم المجلس الانتقالي وتغيير العلم تيمناً بليبيا، فقد عملوا على إدخال هذا المنطق إلى الانتفاضة عبر الآلية التي أشرت إليها، وتعمم «الوهم» بدعم عسكري خارجي لم يصل ولن يصل (ومن الأفضل ألا يصل لأنه خطر حقيقي على الثورة ذاتها، كما على البلد). ولقد جرى تسريب ذلك تحت كلمات في غاية «الإنسانية»، حماية المدنيين، التي جرى تفسيرها بأنها تتعلق بإدخال مراقبين وإعلام. ووافق المتظاهرون على هذا الحد ليكتشف بأن المسألة أبعد من ذلك وتتعلق بالتدخل العسكري تحت البند السابع من ميثاق الأمم المتحدة.

وأيضاً جرى تسويق المجلس الوطني وفق الصيغة ذاتها، على رغم أنه كان لوجود برهان غليون دور في قبوله من قبل قطاعات

منتفضة (ولقد خسر ذلك الآن بعد أن توضح هدف المجلس وظهرت سياساته الخاطئة).
بهذا بدت الانتفاضة انتفاضة إسلامية وتستجلب التدخل العسكري الإمبريالي، وهي في الواقع مدنية بحق ووطنية بعمق. فكل هذه الآلاف المنتفضة خرجت لإسقاط نظام ذاقت ويلاته لعقود، من الفقر والبطالة وسوء التعليم والصحة، إلى الممارسات البوليسية والفساد والسحق الشخصي. ولهذا فقد حددت أنها تريد إسقاط النظام مضمنة سقوطه تحقيق ما تفتقده من كل ذلك. وهي هنا لا تحمل رؤية «أيديولوجية»، ولا ميلاً لشكل ديني للدولة، ولا ترى الصراع من منظور ديني أو طائفي. فعلى رغم كل محاولات السلطة تفجير الصراع الطائفي في بعض مناطق التماس فقد فشلت لأن الشباب المنتفض كان يعرف اللعبة، ولا يرى بأن هذا شكل الصراع، على رغم كل ما كان يظهر من «طائفية» مقابلة. وهذا الشباب يأخذ على السلطة عجزها عن تحرير الجولان والتنازل عن لواء الإسكندرون، ويتلمس أخطار الدور الإمبريالي، وظهر ذلك في لحظات كثيرة سابقاً.
والانتفاضة أظهرت كلعبة بيد المجلس الوطني الذي بات يتصرف أعضاؤه كممثلين حصريين لها، يتحكمون بالشارع ويفاوضون باسمه، ويطلبون التدخل باسمه، ويصدقون بأن اليافطات التي رفعت في التظاهرات هي من مطالب الشارع وصنعه، على رغم أن بعض أطرافهم هي التي طلبت ذلك. فكل من يتلمس الشارع يصل إلى نتيجة وحيدة هي تلك التي لخصها الصحافي جوشوا لانديز بعد أن عاش أياماً في سورية، حيث يقول بأن «الجميع هنا يتجاهل بقصد شبكات النشطاء الضخمة الفاعلة على الأرض بالإضافة لمجموعات المعارضة السياسية المستقلة داخل سورية والتي لا تشكل صدى لأية قوة عالمية». هؤلاء هم «روح» الانتفاضة، وبنيتها الفاعلة، وهم ليسوا مع كل الأحزاب، وكثير منهم لا يريد الحزبية (على رغم ضرورة الحزبية، لكن تجربة المعارضة لم تقدّم ما يشجّع إلى الآن، على رغم أن هؤلاء سوف يتوصلون إلى ضرورة الفعل السياسي والحزبية من خلال تجربتهم ذاتها). وهؤلاء يريدون هم إسقاط النظام وليس غيرهم، أو كما قال ناطق باسم الهيئة العامة للثورة السورية (اختفى عن الإعلام بعدها) إن الانتفاضة حينما انطلقت في **15** آذار (مارس) انطلقت ليس لطلب الحماية الدولية بل من أجل إسقاط النظام.
الصورة التي تعممت في الإعلام، وعبر المعارضة أصبحت عبئاً على الانتفاضة، لأنها تقدّم صورة أخرى غير الصورة الحقيقية لها، وهي الصورة التي تعبرّ عن مصالح قوى فيها، تريد أن «تركب» الموجة للوصول إلى السلطة، حتى ولو على «الدبابة الأميركية»، والتي جعلت الانتفاضة تبدو إسلامية من جهة ومرتبطة بالخارج الإمبريالي من جهة أخرى.
لكن من يريد معرفة طبيعة الانتفاضة السورية لا بد له من أن يلامسها مبتعداً عن كل المعارضات التي تمثل أجيالاً مضى زمانها، ولم تعد صالحة، وهي راحلة مع رحيل النظام. والشباب الذي انتفض، وتحمّل كل أشكال العنف هو الذي سوف يرسم أفق المرحلة المقبلة.
نحن إذاً، إزاء «انتفاضتين»، واحدة في الواقع يخوضها الشباب والشعب عموماً، وأخرى هي الكاريكاتور الذي يتعمم في الإعلام وعلى ألسنة كثير من المعارضين في الخارج.

# سباقات الحل بين الداخل السوري والخارج

فايز سارة

لعل أهم ما يميز مناسبة الذكرى السنوية لانطلاق الثورة في سوريا، حضور أزمتها أمام مفصل مهم من تطورها.. إذ صارت الأزمة اليوم في سباق بين نهجين أحدهما داخلي تتابعه السلطات السورية، وآخر يتابعه المجتمع الدولي. وفي وقت تصر فيه السلطات السورية على استمرار الحل الأمني العسكري وتصعيده في معالجة الأزمة، وحسم الوضع القائم بإعادة إحكام قبضتها على البلاد بواسطة القوة، يسعى المجتمع الدولي نحو إيجاد حل للأزمة، يقوم على خلق آلية عمل سياسي يوقف استخدام القوة، ويحد من تداعياتها، قبل أن ينتقل إلى تفاهم وتوافق بين السلطات السورية ومعارضيها، يرسم ملامح مرحلة انتقالية.

وإذا كانت السلطات السورية ذهبت في الآونة الأخيرة نحو الاستخدام الأوسع للقوات العسكرية والأمنية، فشملت عملياتها مختلف المحافظات، ولا سيما في محافظات الوسط من حمص مرورا بإدلب وصولا إلى حلب ثم الرقة، فإن الحراك الإقليمي والدولي ذهب من جانبه إلى الحد الأقصى في حراكه منذ اندلاع الأزمة في ربيع العام الماضي.

وعكس التطور السابق في الأهم من تجلياته أمرين اثنين، أولهما رغبة السلطات السورية في حسم الوضع من خلال إجراء تحولات جوهرية في المعالجة الأمنية العسكرية وأسلوبها المتبع في المناطق التي تشكل حواضن حركة الاحتجاج والتظاهر، وتلك التي توجد فيها قوات الجيش الحر والمتطوعون الذين يناصرونه، ليس فقط بالاستخدام الأوسع والمفرط للقوة من خلال إدخال مزيد من القوات والعتاد في معركة الحسم، بل أيضا بتبني نهج حصار المناطق، وتكثيف النيران عليها، وإدامته لأطول فترة زمنية قبيل الدخول إليها واجتياحها بشكل كامل، الأمر الذي سيؤدي حسب التحولات الجديدة إلى تصفية شاملة لمعارضي النظام من المسلحين والمدنيين في تلك المناطق على نحو ما حصل في بابا عمرو بحمص، فقد تحولت إلى منطقة أشباح مدمرة لا مسلحون فيها ولا مدنيون حتى.

والأمر الثاني الذي يعكسه تطور الأزمة السورية، يتصل بالحراك الإقليمي والدولي، وقد بات أكثر إحساسا بعمق الأزمة وبالآثار المدمرة لتطورها وتداعياتها، خصوصا بعد ذهاب السلطات السورية إلى الأبعد في خيارها الأمني العسكري وتوسيعه، وقد بات يهدد بانفجار الوضع الداخلي إلى أقصى الحدود، وهو أمر إن حدث سوف تكون له آثار إقليمية خطيرة، لعل أولها انخراط فئات وجماعات من دول الجوار السوري بالأعمال المسلحة في الأراضي السورية، مما يعني توسيع حدود الصراعات المسلحة لتشمل بلدان الجوار أو بعضها، إضافة إلى إدخال عناصر متزايدة في الصراعات القائمة في سوريا، وهذا سيدفع المنطقة وكياناتها نحو قاعدة جديدة لتشكل الكيانات السياسية، هي الأولى من نوعها في المنطقة منذ اتفاقية «سايكس – بيكو»، التي رسمت حدود دول المنطقة بدايات القرن الماضي.

وإزاء الأخطار والتحديات التي تفرضها تطورات الأزمة في سوريا، فإن حراك المبادرات والجهود تكثف في الفترة الأخيرة، وكان في عداده المبادرة الصينية، وجهود المبعوث العربي والدولي كوفي أنان إلى سوريا، واللقاء الذي عقده وزراء الخارجية العرب مع لافروف وزير الخارجية الروسي في القاهرة، واجتماع «أصدقاء الشعب السوري» الذي يعقد دورته الثانية قريبا في تركيا، ومثله اجتماع حلفاء دمشق الذي يعقد في إيران، ثم المبادرة التي أطلقها أمين عام حزب الله حسن نصر الله لمعالجة الأزمة السورية، والقائمة على فكرة «إلقاء السلاح بشكل متزامن، ضمن آلية متفق عليها للدخول في حل سياسي واضح وممنهج».

ويعكس تنوع المبادرات والجهود بين أصدقاء السلطات السورية وخصومها، تشارك الجميع في القلق إزاء ما يجري والرغبة في معالجته، وإن كان من مواقع وأهداف مختلفة، تتراوح ما بين المحافظة على النظام في إطار حل وسط من موقع أصدقاء السلطات السورية، وصولا إلى تغيير النظام حسب خصوم النظام في المستويين الإقليمي والدولي.

ولا يحتاج إلى تأكيد قول إن سباقات الحل ما بين الداخلي والخارجي ليست سباقات مفتوحة إلى ما لا نهاية، بمعنى أنه لا يمكن الاستمرار في طرح المبادرات الإقليمية والدولية، إذا استمرت السلطات السورية في نهجها الحالي، أو إذا اكتفت بالمواقف اللفظية من دون الانخراط في خطوات عملية هدفها معالجة الأزمة في صورة حل سياسي، لأن ذلك سيدفع أصدقاء النظام إلى الانكفاء واليأس من جهة، ويدفع خصومه إلى التشدد من جهة أخرى، مما سيجعل الجميع يذهبون للبحث عن حل ملزم عبر مجلس الأمن الدولي، وربما خارجه إذا استحالت التوافقات داخل المجلس، تأكيدا ليأس الجميع من فكرة ذهاب السلطات السورية لحل سياسي والإصرار على أنه ليس هناك من حل سوى توسيع دائرة العنف في سوريا وفي محيطها.

# أطباء الفاشية يهرعون لمداواتها وتجميل صورتها
# نقد مبادرة ـ سوريا بيتنا ـ في خطر

عزيز تبسي

كتب ماركس في كراس–الحرب الأهلية في فرنسا–:كانت الكومونة قبر المدرسة البرودونية الاشتراكية.

وعليه نؤسس إن الانتفاضة الشعبية السورية والعربية عموماً ستكون قبراً جماعياً للشيوعية التقليدية والقوى المتفرعة عنها والمعتاشة على فضلاتها،والقوى القومية اللفظية التي لم تنفصل على الاستبداد قط لا فكرياً ولا ممارسياً من اللذين واللواتي يرطنون بالديمقراطية على السحور ويسعون إلى إفطار تضامني مع عمر حسن البشير والقذافي...،وسترمى كل مقارباتها الفكرية والسياسية معها، عل ذلك يشكل إيناساً لها في وحشة أفولها،مما يمكن إعتبارها "وجبة الفراعنة"،التي طالما حرص الحانوتيون على دفنها مع الموتى المصريين ليقتاتوا بها ساعة النشور،مع خلاف الوظيفة المحققة من هذه الوجبة المدفونة مع هؤلاء،حالما سيبعثون من الموت سيتكفل ابتلاعهم لهذه المقاربات بإعادتهم إليه،ليتأكد نهائياً:إنهم موتى مكرسون ولن يبعثوا أبداً.

إن الحركات الثورية لاترحم وكل من خال نفسه صلباً قبلها يصير بخاراً بعدها.ولنعلنها بوضوح:إن الرصاصات التي تخترق صدور المتظاهرين مصنوعة من نفس الرصاص الذي يستخدمه هؤلاء لطباعة صحفهم ومبادراتهم....

وتبين منذ زمن طويل أن مساحة المشترك الإيديولوجي والسياسي والمصلحي مع الفاشية بتمايزاتها المحلية واسعة،من هذه النسخة المبتذلة من الشيوعية التي أرسى قواعدها الفكرية بيروقراطيو الإدارات السوفيتية المختصون بشؤون المنطقة العربية،رغم ذلك تبقى مسيرتها الطويلة زاخرة بالشموع المضيئة والتضحيات العظيمة.لكن لا يكفي حجم التضحيات في إعادة البصر قبل البصيرة لمشروع أعمى،وجوف الأرض وسطحها ممتلئ بمقابر الحركات السياسية العمياء وجثث ضحاياها.

**1**

يبدو على من صاغ المبادرة،أنه غير معني بأسباب الاحتجاج الشعبي في سيرورته انتفاضة شعبية،لذلك وقع في أول خطأ منهجي بإغفال أسباب الإنتفاضة،وآثر العبور بخفة إلى معالجة بعض نتائجها،متقمصاً بسرعة موقع المختار في بعض مسرحيات الأخوين رحباني،الساعي دوماً للصلح،وتبويس الشوارب،وتوزيع اللوم على طرفي الصراع،ويبقى"المختار"محط إجماع شكلي لطرفي النزاع،وجماعة "المبادرة"،لم يستطيعوا،رغم العبث بالكلمات وتدويرها، وغموضها أحيانا، إخفاء إنحيازهم للمشروع الفاشي.

وإن عبر هذا السلوك في تلك المسرحيات الرحبانية عن ضرورات درامية،ورغبة في فض الصراعات بأقل كلفة ومأساوية،إلا أنه يعبر هنا عن ضمير ميت،أو في أقل تقدير عن ضمير نائم ومنحاز لخلط الأوراق وبعثرتها،كما يفعل عادةً أتباع عتاة المجرمين وأعوانهم،عبر تغيير مسرح الجريمة،بمسح البصمات ورفع أشلاء الضحايا وغسل آثار الدماء،بعد أن يكلفهم معلموهم بذلك،ويغدو تضييع الحقيقة إحدى أهم المهمات التي يضعونها على أنفسهم.لم يتركوا مسافة تبعدهم عن أتباع المشروع الفاشي ونوادله المتنكرين بسراويل الوطنية وشراويل الديمقراطية،فتظهر الانتفاضة وكأنها لعنة إمبريالية–صهيونية–رجعية عربية أصابت هذا "الوطن"الذي تحوله الفاشية وأعوانها من هؤلاء"المبادرون" إلى رمز مجوف كما في هزليات"غوار الطوشة"،وليست تعبيراً عن أزمة عميقة تتفاعل في أعماق البنية الاجتماعية ولها أسبابها الاقتصادية والسياسية والإيديولوجية،وهي تعبير عن أزمة عامة في هذا النمط الاجتماعي الذي أوصلته مصالح متحدة من الرأسمال الاحتكاري الطفيلي،المدعم بامتيازات حقوقية صارمة تتأسس في بعضها على إستئثار طائفي واضح، وحماية مسلحة من أعتى أجهزة القمع وإعلام أحادي يقول "الكذب بحرارة قوله الصدق"وفق تعبير شكسبير، إلى حدود الانفجار.

المشكلة المنهجية الثانية التي يقع فيها–أصحاب المبادرة–أنهم يخلطون عن عمد بين الانتفاضة الشعبية في أفقها الثوري المفتوح ،وبين القوى التي تعبر عنها،أو التي تدعي ذلك،ربما لتسهيل مهمة "مختار الضيعة".

لهؤلاء"المبادرون" ماض في التشويش على الصراع السياسي عبر حصاره بعتاد إيديولوجي يشبه وظيفياً القنابل الدخانية،فمنذ آب **1980** سعواللتفتيش في لوحة الصراع السياسي–الطبقي عن كرسي بين الكراسي،دفعوا بقوة وإنعدام ضمير تجربة سياسية وفكرية واعدة ثورياً–رابطة العمل الشيوعي– إلى هاوية بكداشية محدثة،متفارقة عن تلك المرجعية الأصيلة المتماسكة والواضحة العناصر، وإسقاطها في ابتذال أضاع هويتها الفكرية ومواقعها السياسية.

خدع هؤلاء أنفسهم وبعض من أتباعهم،بأنهم أنصار لتيار ثالث،ويعملون إلى تحويله إلى قطب،ليتبين أن هذا الخيار خديعة كبيرة على الشعب وعلى الأنصار،كونهم لا يتجرؤون خداع الفاشية،ولم تستطع كل المراوغات الأيديولوجية على حجب المشتركات السياسية .

في مقاربة الوضعين اللبناني والفلسطيني لدرجة التطابق،وفي مقاربة الأوضاع الداخلية لم يتجاوز مقاربات الشيوعية اللفظية المتحالفة مع السلطة،بالتلازم مع حصار الإتجاهات الثورية في هذه التجربة المجيدة.

وكأن التاريخ يعيد نفسه وكما في تلك الأيام الصاخبة والدامية يحصل

الآن لن يجدوا مكاناً شاغراً،لذلك يجلسون في حضن المشروع الفاشي ويعملون ليل نهار في "إقناع"القوى المترددة به،وهو أقرب لقناعاتهم العميقة وهواجسهم الأقلوية التي لم يستطع تبني تلك الشيوعية اللفظية من حجبها،وكما يحصل في الإمتحان، تُكرم الهواجس الأقلوية وتُهان تلك اللفظية الشيوعية.لذلك عبثاً بحثنا عن أي أثر لتلك المدرسة على الأدوات المفاهيمية أو منطق عرض الوقائع وتحليلها وبناء إستنتاجات على ضوءها،فضلاً عن الإنحياز للطبقات الشعبية الكادحة ووضع إمكاناتها التاريخية،ماتابعناه أشبه بخلطة عجيبة من عناصر متناقضة،هي أقرب لإندفاع إسعافي،إلى مايرونه أخطاراً.

ينقدون الفاشية من حين لآخر،بينما يقاسمونها هواجسها وهم يمصون معاً كؤوس المته المدعمة بالقضامة الملحة،متبادلين أحدث طرائف المانعة،وأخبار سوبر ستارها،وانقلاب الدور الوظيفي لقصائد سليمان العيسى في إنتاج جيل معاد للبعث،وعن المانعة والمقاومة في مسيرة غازي كنعان الوطنية،وأفضلية الحمقاء الطويلة على القصيرة،والفرق بين دود الإقطاع العام ودوره،ليتبين أن هؤلاء لم يكتفوا بمقاسمة الفاشية كؤوس المته بل القناعات العميقة!!

لذلك سيفضل بعضاً منهم الجلوس وتبادل الأحاديث وقبول الضيافة لسنوات مع فيصل غانم وبركات العش-المشرفين التنفيذيين على مجزرة تدمر- على الاقتراب من رياض الترك وجمال الأتاسي....الخ في زمن صاخب مضى..

ويرسل بعضهم الآخر من السجن "المبادرات"-التي تشمل النقد الذاتي للتجربة والرغبة التامة للالتحاق بالمسيرة الفاشية زحفاً أو هرولة- بعدد أكثر من عدد حلقات المسلسلات المكسيكية والتركية مجتمعة.... ونتعجب من عدم التحاق هؤلاء بحزب بكداش ومفرزاته،وإصرارهم على تقديم"تجربة"غير أصيلة و"بندوقة"للشيوعية المحلية،بينما لايتأخرون عن اللحاق بمفرزاته وحوارهم-جماعة قاسيون- وما شابهها من مومياءات...الخ .

هل هو شكل جديد من التلهي والتسلية؟أم تعبير عن انسداد الأفق السياسي والفكري؟أم أن لهم دوراً غير مرئي،في تفكيك أي بوادر لتجميع المعارضة،عبر التسلل إليها وسبر مساراتها والتعرف على أطروحاتها كما يفعل آخرون كتيار بناء الدولةوغيره؟وساعة يتحدثون عن التغيير وضرورته ،يرطنون بالتنظير للتغيير السلمي التدريجي الآمن،وهو غير التغيير الأمني،وبذلك يعودون إلى الأطروحات الإصلاحية التي طالما لهجت بها القوى السياسية قبل **18**آذار **2011** وهي تدون البيانات والمبادرات وتتوسل الإصلاحات،وتكرارها في هذه المبادرة وكأنما لا انتفاضة شعبية مناضلة تدق أبواب الاستبداد ،تتحدد وتتجذر مطالبها بوضوح،رغم ذلك لا يوفرون مناسبة إلا ويظهرون التبرم والضيق من شعار إسقاط النظام.

حسناً!!هل يستطيع هؤلاء إقناع السلطة بإطلاق سراح المعتقلين وكشف مصير المخطوفين، وسحب الجيش من الشوارع إلى الثكنات،والسماح بالتظاهر السلمي،وفتح تحقيقات مع من إرتكب المجازر،والسماح بدخول الإعلام .....الخ ،أم أنهم تجاوزا كل ذلك إلى إنتاج أحكام القيمة على الإنتفاضة وحركيتها وهي "للمصادفة" نفس الأحكام التي يرطن بها الأتباع المباشرون للسلطة،هؤلاء فقدوا أي مصداقية عند الشعب،ومن المحال استردادها.

**2**

إن استعمال كلمة العنف في هذه المبادرة،هو التعبير الأكثر حيادية شكلاً،والخداع مضموناً،في تعقب الإرهاب الفاشي والجرائم التي ابتدأ بها الحراك العفوي من بدايته في درعا،في محاولة للخلط بين مدلولات هذا التعبير التي تبدأ بالعنف الأسروي،ولا تنهي بالمجازر التي بدأت بإرتكابها الفاشية بدم بارد من بداية الحراك في درعا وتستمر فيها حتى الآن على إمتداد المواقع الثورية للانتفاضة.

لابل أنهم يحددون العنف الأكثر خطورة"العنف على يد قوى إسلامية متطرفة،هذا هو العنف الأكثر خطورة الآن".وهنا تظهر الهواجس جلية واضحة أكثر من تثبيت الواقعة المراد الإشارة إليها للدلالة على القوى الإسلامية المتطرفة واستخدامها للعنف،إنها طريقة لتسويق الإرهاب الفاشي،وتعقب بذلك التوضيح"أصبح كل ذلك مبرراً للنظام أيضاً كي يطرح الأولوية للحل الأمني ومواجهة العامل الخارجي والمؤامرة الخارجية،ليسوف الحلول السياسية بالمقابل وهل كان النظام نتظر الحجة والمبررات الكاذبة،لقد استخدم الإرهاب ما قبل بداية الحراك الشعبي**18**آذار ساعة اعتقل تلاميذ المدرسة ونكل بهم في التحقيقات وقتل أربعة منهم وآذى البقية،بإخضاعهم لعمليات تعذيب وتنكيل وتشويه لا يحتملها المردة.ومن اليوم الأول للاحتجاجات استخدم القتل بإطلاق النار على المحتجين السلميين،وإستدعى في الأيام التالية الطائرات المروحية والدبابات وكأنه يخوض معركة حربية بين قوتين عسكريتين،لقد حسمت الفاشية خيارها منذ الساعات الأولى وبدأت الإعداد الفوري للحل"الحموي"-نسبة لمدينة حماة-**1982**وتبين أنها لا تتورع عن تحويل سوريا كلها إلى ركام يئن تحت أنقاضه الجرحى وينزف القتلى حتى الموت.

وحوصرت الانتفاضة إعلامياً،على عكس ما تدعي "المبادرة"من قبل جميع وسائل الإعلام،التي تسميها الفاشية وأعوانها"مغرضة"وكانت ترفض بصرامة نشر أي خبر أو تعليق عبر رسائل القصيرة على موقع الجزيرة مباشر،وكان الفعل اليومي لهذه القوى،يهيئ الظروف الملائمة للإستفراد بالإنتفاضة الشعبية من أجل تعجيل سحقها،لكن إنبثاق المبادرات الإعلامية الشعبية،ومساهمة ثورةالإتصالات،

والقدرات العالية على التضحية والمخاطرة،ساهم في التخفيف من نتائجها.

لذلك يكذب "المبادرون"حين يكتبون مايكتبون عن العنف،إنهم يسعون لتأمين الشرط النموذجي للفاشية لتنفيذ المذبحة وتركيع الشعب المنتفض.بطرد الإعلام والتشكيك به،العداء الإنتقائي للتدخل الخارجي،فعندهم خارج ينبغي طرده،وخارج ينبغي استدعاؤه والحوار معه–إيران–روسيا..الظهيرين الحاسمين للمشروع الفاشي–وعلى عكس ما يدعي هؤلاء،إن الخارج لم يبلور أي مبادرة جديةمعادية للنظام،وكل ماقام به هو تغطية المذابح اليومية بمبادرات فارغة من المضمون الردعي وإنتاج حالة مما يسميه السوريون"صف حكي"،رغم اقتراب الانتفاضة من إتمام عامها الأول،وهذا ما ينبغي كشفه وفضحه والوقوف على أسبابه الحقيقية.إن العمل على وقف أي تدخل خارجي هو بمثابة إطلاق يد الفاشية في طول البلاد وعرضها دون أي عواقب ،وتمكين العدالة من إدراك يقينها وتحقق فعلها،رغم أن التدخل الخارجي لا يعني على الإطلاق التدخل العسكري،وهذا ما يعمل "المبادرون"على الخلط بينهما عن قصد منحازين إلى تعبير التدخل الخارجي الغامض،حيث يستوي فيه الصاروخ مع حليب الأطفالول قاحاتهم وضمادات الجرحى..،ألا تتوفر حقوق لهذا الشعب التواق للحرية والعدالة والكرامة الإنسانية على إخوته في الإنسانية لإغاثته وإسناده إعلامياً وطبياً وغذائياً...حتى هذه الحقوق يعمل هؤلاء"المبادرون"بانعدام أخلاق وضمير لحرمانه منها،وتظهر مرائيتهم ساعة يظهرون الإستعداد للمواجهة المسلحة مع خطر خارجي إفتراضي،والهرولة للتفاوض مع خطر داخلي حقيقي.

3

ويكذب مرة أخرى أصحاب "المبادرة"وهم يقاربون وضع الأقليات المذهبية،ويحتالون على الوقائع في الوصول إلى حكم قيمة لإدانة القوى المتطرفة التي وفق رأيهم تسيطر على الانتفاضة والتي تؤدي إلى:"انكفاء شعبي كامل للأقليات المذهبية من الاشتراك في الحراك،ليصبح الأمر في سوريا وكأنه استقطاب قائم على أسس مذهبية،وكأنه جزء من الاصطفاف السياسي الطائفي الحاصل في القوس الشرق أوسطي..."لكن لماذا يغض هؤلاء"المبادرون" عيونهم عن المظاهرات المتواصلة في بلدتي سلمية ومصياف ،ومشاركة أبناء هاتين البلدتين الموزعين في كل المحافظات بزخم وفعالية في كل مظاهر الانتفاضة الشعبية، وعما يحصل في جبل العرب وبلداته وأماكن انتشار أبناؤه،حتى لانقول ابناء الطائفة العلوية الذين واللواتي يشاركون نضالياً ويقاربون فكرياً الإنتفاضة الشعبية...أليس ذلك من أجل إتمام عناصر التبني العنصري لموقف الفاشية وأعوانها من الانتفاضة،بكونها انتفاضة طائفية سنية.وكانت هذه التجربة الثورية التاريخية فرصة لإطلالة معرفية على تجربة السلطة السياسية ومقاربة عناصر مشروعها الإيديولوجية التي تعتبر الطائفية ركن من أركانها من**1963**وحتى اليوم.....إلا انه هيهات طلب شئ مما لايملكه....لقد سيطرت الأمية الفكرية على هؤلاء والتشويش الطائفي الذي غدى حاجزاً إيديولوجياً يعيق إنتاج أي قيمة معرفية.ولا يكتفون بذلك بل ينتقلون في الأكاذيب إلى المدينتين الأكبر:دمشق وحلب،ليستنتجوا،ما يناقض الفكرة السابقة عن الطابع الطائفي للإنتفاضة،فكيف يستوي طابعها الطائفي وأهم مدينتين"سنيتين"والذي يقارب عدد سكانهما نصف سكان سوريا ،لم يشاركا فيها،أيتجاهل هؤلاء أن بداية الحراك بدأت في هاتين المدينتين(الحريقة–السفارة الليبية–السفارة المصرية–سوق الحميدية–وزارةالداخلية...)في دمشق(الجامعة–الكتابات على الجدران–البيانات الثورية....)في حلب.

لقد إعتاد هؤلاء التواطئ مع من يغلق فم الشعب ليتحدثوا بإسمه معاً،وتكيفوا مع فكرة شعب إفتراضي يلبي النداء عند الطلب،ويرتدي كل أنواع المفاهيم عند الضرورة،فهو تارة شعب،وأخرى طوائف...

هل يستطيع هؤلاء حمل "مبادرتهم"والذهاب لنقاشها في درعا وريفهاوريف دمشق وحمص وحماة وادلب ودير الزور وحلب وريفها....لايمكن إعتبار أن هذه"المبادرة"تشكل بعناصرها الهزلية،تعبيراً عن السلطة الحاكمة،بل عن الاتجاهات الأكثر رجعية وفاشية وطائفية منها،لكون العديد من أطراف السلطة باتت تعترف بالأزمة وتحدد بعضاً من أسبابها وآلية تحققها والإتجاهات السياسية والإقتصادية المسؤولة عنها...

حاولت من خلال الرد على بعض"أطروحات"المبادرة،أن أضبط بعثرة افكارها التي تشبه هذيان فاشي ،وأن أنظم تبعثرها الذي يظهر مرضى في عيادة نفسية،وآمل أن أكون قد حققت ما يتوجب عليه الرد الثوري المنحاز للانتفاضة الشعبية،وحدها المرجع الحاسم للقوى الثورية ومشروعها التاريخي.

# إياد العبدالله

واقعتان حصلتا في مدينة دمشق في شهري شباط وآذار **2011**، تعكسان المضمون الحقيقي الذي سيميز قيامة السوريين في آذار من العام نفسه. الأولى حصلت يوم **17** شباط، الثانية يوم **16** آذار.

على إثر قيام عناصر من شرطة المرور بضرب أحد الشبان في حي الحريقة الدمشقي، يوم **17** شباط، تجمع عشرات الشبان لنجدته، والمطالبة بالإفراج عنه. الهتاف الرئيسي الذي ردده هؤلاء الشبان كان "الشعب السوري ما بينذلّ"! يوم **16** آذار، حصل تجمع لأهالٍ وناشطين، أمام مبنى وزارة الداخلية للمطالبة بالإفراج عن المعتقلين السياسيين. قوبل هذا التجمع السلمي بوحشية وعنف لم يفرق بين كبير وصغير، وتم اعتقال العديد منهم على أيدي رجال الأمن السوري. الدلالة التي يمكن استخلاصها من هاتين الواقعتين، تجد في "الكرامة والحرية" عنواناً لها. لن تتأخر حناجر السوريين لتؤكد هذا العنوان. ففي درعا، حيث انطلقت الشرارة الأولى للثورة السورية، كان الهتاف الذي أطلقه المتظاهرون: "الشعب السوري مو جوعان"! رداً على الإجراءات التي بادرت إليها السلطة لمواجهة الاحتجاجات في البداية، كزيادة الرواتب مثلاً؛ والتي أظهرت احتقاراً وتجاهلاً سافراً لحقيقة قيامة السوريين.

شكّل ارتباط الثورة السورية بهذه المضامين صفعة للنظام، لأنها ستكون المدخل إلى تفكيك شرعيته التي عمل على تكريسها عبر احتكار قيم الكرامة والحرية والوطنية. فسوريا الحرة والكريمة والوطن، على مدار عقود، هي ليست شيئاً آخر سوى "سوريا الأسد". فـ "الأسد" هنا، هو هوية سوريا الحديثة، خبرها الذي أعطاها حضوراً ومعنى، محمولها الذي ما إن استغرقت فيه حتى انتقلت من طور الهيولى إلى طور الهوية والوجود، من الضعف إلى القوة، من لعبة بين الأمم والدول إلى حصن تتكسر على أعتابه جميع المؤامرات. وفق هذا التصور، فإن سوريا الوطن لا يمكن أن تكون ديموقراطية، لأن الديموقراطية علامة على التشتت والضعف، وما على المجتمع سوى نكران ذاته والترفع عن مصالحه والالتحاق بالنظام حتى يغدو وطنياً. فالمجتمع المحكوم عليه بالوطنية، هو ذلك المجتمع الذي لا شخصية له ولا استقلالية.

لم يتزحزح النظام السوري في مواجهته لانتفاضة السوريين عن مألوف خطابه وعاداته. فالحديث عن المؤامرة ضد سوريا، كان حاضراً منذ اللحظة الأولى. أدوات هذه المؤامرة كانت جماعات سلفية في البداية،يتطور الأمر إلى عصابات مسلحة لا هوية لها،

حرّكها لذة القتل الذي يهدف في النهاية إلى بث الفوضى والدمار في أنحاء البلاد. على الأرض، الحل الأمني كان خيار السلطة الوحيد في مواجهة انتفاضة السوريين. الآن، وبعد مرور عام على قيام هذه الانتفاضة وحيث لم يستطع النظام القضاء عليها، ولا استطاعت هي تحقيق أهدافها التي لا إمكان لتحقيقها إلا عبر إسقاط النظام؛ نستطيع أن نؤكد أن توازناً في القوى بين الاثنين هو ما يميز واقع الحال. بعد مرور عام على اندلاع الثورة، ثمة معادلة هي على الشكل الآتي: النظام لا يزال متماسكاً لكنه غدا ضعيفاً، ومن ناحية أخرى، فإن إرادة الثوار على الأرض لا تزال قوية ومتماسكة، إلا أن المعارضة التي يفترض أن تكون الغطاء السياسي للثورة، ضعيفة وهشة ومبعثرة.

عوامل عدة تكاتفت كان لها تأثير مزدوج، فهي من ناحية سهّلت للنظام الاستمرار في خياره الأمني في قمع الثورة السورية، ومن ناحية أخرى وقفت عائقاً أمام تطور الثورة وتحقيق أهدافها. منها الدعم الذي أظهرته مؤسسة الجيش والأجهزة الأمنية، ومعهما الجهاز الديبلوماسي، للنظام، وهو ما لم نشهده في الدول العربية التي عاشت ربيع إسقاط أنظمتها. وكذلك وجود قاعدة شعبية موالية للنظام، أو صامتة، غالبيتها من الأقليات الدينية والطائفية التي تعيش خوفاً وقلقاً على مستقبلها في حال سقوط النظام، ووقوف بورجوازية المدن الكبرى في حلب ودمشق معه، وهي التي استفادت من سياساته الاقتصادية التي أقرّها في السنوات الأخيرة، ما انعكس في تأخر انضمام هذه المدن إلى الثورة. لا تزال ماثلة حالة الاقتتال الأهلي والدماء التي سالت في العراق بعد سقوط نظام صدام حسين، ما أدى إلى هجرة مئات الألوف من العراقيين، وتوزعهم في بلدان العالم، حيث كان نصيب سوريا منهم ما يفوق المليون. إن احتمال مصير مشابه في سوريا، هو مصدر قلق لدى قطاعات شعبية واقتصادية لا بأس بها من السوريين، وبدوره عمل النظام عبر إعلامه و"مثقفيه" على التلويح بمثل هذا المصير في حال سقوطه.وأيضاً، فإن حالة عدم الاستقرار التي تمر بها بعض دول الربيع العربي، ووصول الإسلاميين إلىلسلطة في تونس ومصر، والتوترات الطائفيةلتي حصلت في هذه الأخيرة بين مسلمين وأقباط، وتحول جماعات مسلحة في ليبيا إلى قوة لا تستطيع السياسة السيطرة عليها أو توجيهها...، هذه الأمور مجتمعة، تبعث هي الأخرى على القلق عند نخب وقطاعات سورية، ويلعب النظام عبر إعلامه ومثقفيه دوماً على تسليط الضوء عليها. دولياً، ثمة دعم واضح وصريح من إيران وروسيا والصين للنظام السوري. بالنسبة الى إيران، فهي تعلم تماماً أن سقوط حليفتها السوري سيكون كارثياً لها. فهو يعني عزلها وإبعادها عن أهم الملفات الحاسمة في الشرق الأوسط، كالصراع العربي ـ الإسرائيلي وعملية السلام، وخصوصاً أن تحالفها مع النظام السوري أتاح لها أن تصل إلى الحدود الإسرائيلية عبر دعمها لـ"حزب الله" اللبناني ووصولها إلى داخل الأراضي الفلسطينية من خلال حركة "حماس". بالنسبة الى روسيا، ثمة أسباب عدة وراء مواقفها الداعمة للنظام السوري، قد يكون من بينها ما هو معنوي يكمن في حساسية لا تزال موروثة من الحقبة السوفياتية تجاه الغرب الذي وسّع من نفوذه بعد انهيار الاتحاد السوفياتي إلى مناطق في أوروبا الشرقية كانت تعتبر مجالاً حيوياً لروسيا. ثمة حساسية روسية إزاء تركيا، الجارة المسلمة وحليفة الغرب. إذ إن سقوط النظام السوري يعني أن دوراً تركياً مميزاً سيكون في سوريا الجديدة، وخصوصاً أنها حاضنة للمجلس الوطني السوري، التنظيم الأكثر تمثيلاً ووزناً في المعارضة السورية، ولقيادة "الجيش السوري الحر"، وعلى علاقة وثيقة مع "الأخوان المسلمين" الذين يعتقد أن حظوظهم كبيرة في الوصول إلى السلطة في سوريا ما بعد سقوط النظام. وهذا ما لا ترتاح له روسيا، صاحبة التجربة المريرة في الشيشان. ثمة جانب اقتصادي أيضاً يكمن وراء موقف الروس وهو صفقات الأسلحة مع النظام السوري، وخصوصاً بعدما فقدت روسيا السوق الليبية.على الجانب الآخر، الذي يستنكر على النظام أفعاله محاولاً تقديم الدعم للثورة السورية، ثمة ما يقال أيضاً. بالنسبة الى الجامعة العربية ودول مجلس التعاون الخليجي (السعودية وقطر خصوصاً) بالإضافة إلى تركيا، فقد بان بشكل جلي أن الدور الذي يمكن أن يضطلع به هؤلاء محدود إلى حد كبير، وكل تطور في هذا الدور مرهون بتدخل

بتدخل دولي أكثر فاعلية في "المسألة السورية". إلا أن هذا الأخير يبدو محدوداً بدوره، فالولايات المتحدة تنأى بنفسها حتى الآن، عن القيام بمغامرة جديدة في الشرق الأوسط بعد فشلها في العراق، وخصوصاً أن الانتخابات الأميركية باتت على الأبواب. فرنسا أيضاً على أبواب انتخابات رئاسية تجعل ساركوزي شديد الحذر هو الآخر. إن ما نتج من قرارات في مؤتمر "أصدقاء سوريا" الذي عقد في العاصمة التونسية أخيراً، يعكس سقف التحرك الذي يستطيعه أو يرغبه هؤلاء.ما سبق يجد كمالته في ذلك الأداء الهزيل للمعارضة السورية التي فشلت حتى الآن في أن تكون على مستوى وقائع الثورة السورية وتطوراتها. تدّعي "هيئة التنسيق الوطنية" في سوريا أن رؤيتها في مقاربة الحاضر السوري ومآلاته تنطلق من مبادئ تتعلق بصون الاستقلال والسيادة الوطنية، لتصل إلى ضرورة الحذر من أي تدخل دولي في الشأن السوري والتشكيك فيه، مقررةً أن القوى الذاتية للثورة قادرة على إسقاط النظام وبناء الدولة الديموقراطية. لكن هذه الهيئة التي تؤكد أهمية التعبئة الشعبية، فشلت فشلاً ذريعاً في أن يكون لها موطئ قدم يعتدّ به على الأرض. إضافة إلى أن تصورها هذا يتغافل عن مقدرة النظام على المناورة التي برع فيها على امتداد عام من عمر الثورة. في المقابل، كان أداء "المجلس الوطني السوري" محبطاً وقليل الفاعلية، على الرغم من إجماع غالبية الثوار على تمثيله لهم. أغلب أعضاء المجلس الوطني هم من الليبيراليين والإسلاميين، الذين ذهبوا إلى أن لا بديل من إسقاط النظام بأي وسيلة كانت،وإلا فإن البلاد ذاهبة إلى مصير قوامه الدمار والتفكك. أمام القمع المتصاعد للنظام، دعا المجلس الوطني إلى تدويل المسألة السورية، وتوفير ملاذات آمنة وصولاً إلى التدخل العسكري ودعم "الجيش الحر". بالطبع، لم يبلور المجلس وجهة نظر واضحة حول حدود التدويل والعسكرة وأخطارهما. هذا عدا التشرذم الواضح بين مكوّناته التي تتجلى في تصريحات أعضائه التي تصل إلى حد التناقض أحياناً.لقد شهدت الأشهر الأخيرة من عمر الثورة، تراجع دور التنسيقيات التي كانت فاعلة على الأرض، من حيث إشرافها على نشاطات مختلفة كتنظيم التظاهر والدعوة إليه وإيجاد آليات الصمود أمام ردود فعل أجهزة النظام الأمنية. لقد تم استنزافها عبر حملات الاعتقال والملاحقة التي طالت كوادرها. بالإضافة إلى أن انتشار مزاج يدعو إلى مواجهة النظام بالسلاح وصعود نجم "الجيش السوري الحر" الذي أخذ على عاتقه هذه المهمة، أفسح المجال أمام تصدر الراديكاليين، وتراجع التنسيقيات التي كانت من إبداع الثورة في حقبتها السلمية.

إن تكاتف هذه الوقائع المذكورة أعلاه، ضاعف من فاتورة الألم وسهّل للنظام المضي في خياره الأمني والعسكري للقضاء على الثورة، وأشاع مناخاً من الإحباط والقلق عند ناشطين سوريين. إلا أن نقطة القوة في الثورة، هي أن النظام انتهى وسقط في أذهان كثير من السوريين. لقد أصبح جسماً غريباً يسعى الثوار لإزاحته. إن تبنيّ ثوار الأرض علم الاستقلال، ينطوي على بعض الدلالات التي تؤكد هذا الطلاق النهائي مع النظام. إنه استعادة رمزية أراد من خلالها الثوار أن يضفوا على ثورتهم طابعاً تحررياً يحاكي حركات التحرر الوطني التي ناهضت الاستعمار الكولونيالي وسعت إلى تحرير البلاد منه.

# في الدفاع عن الموالاة

ماهر الجنيدي

تتهم أطرافٌ في المعارضة السورية أطرافاً أخرى أنها تقدّم خدمة للنظام السوري عبر الشعارات أو البرامج أو "خطط الطريق" التي تطرحها، وتأخذ عليها أنها توضّح للنظام بعض المخارج الممكنة أمامه، ما قد يعينه في الخروج من مأزقه الحالي.

وإذا بدا هذا الاتهام في ظاهره فضحاً لخيانة ترتكبها المعارضة "الثانية" بحقّ دماء آلاف القتلى وعشرات ألوف الجرحى والمعتقلين والمشرّدين، فإنّه اتهام تعتوره نقطتا ضعف أساسيتان من حيث تشخيص الوضع الراهن في الميدان.

تتمثل الأولى في إضمار أن ثمّة بالفعل مخرجاً ينبغي إخفاؤه والتعتيم عليه، بما لا يمنح النظام الرسمي فرصة النجاة؛ وفي الظنّ الضمني بأن العودة إلى نظام ما قبل 15 آذار ما زال ممكناً، بحيث يفلت النظام الأمني من سقوط محقق.

وتشي نقطة الضعف الثانية بإحساس بالريبة حيال مدى جذرية الانتفاضة التي تحوّلت في الواقع إلى نمط حياة متمرّد يصعب الارتداد عنه، وبنظرةٍ ترى أن من شأن مخاطبة شريحة من الموالاة، وانتزاع تنازل من النظام، وتحقيق مكسب جزئي وتكتيكي للحراك، أن يطفئ جذوة الحراك الشعبي، فيكفّ الشعب عن مطالبه، وتكف الثورة عن إنجاز مهماتها.

وتتجلى نقطتا الضعف في نهج يشكك ببعض الشعارات/ البرامج التكتيكية التي تطرحها رموز تاريخية في المعارضة السوريّة، ويستخفّ بأهمية هذه الشعارات وبالدور الذي يمكنها الاضطلاع به في مخاطبة شرائح من جبهة الموالين للنظام، وفرز وتفكيك جبهتهم، هذه الجبهة التي تبدو حتى هذه اللحظة موحدة ومتماسكة شكلياً على الأقل، بعد مرور نحو أكثر من عشرة أشهر على بدء الانتفاضة. ويرى هذا الاستخفاف وذلك التشكيك مرتعاً لهما في أجواء أزمة الثقة المستحكمة بين أطياف المعارضة، والتي استطاع النظام الشمولي على مدى نصف قرن أن يزرعها ويكرّسها ويرعاها.

لكن إذا جاز لنا أن نستعير من علم التسويق ما يفيد في حالتنا، نجد أن الشعارات والخطط التسويقية لا تسعى فحسب إلى إضاءة الأهداف أو المزايا التي يتحلّى بها المنتج المحدد المراد تسويقه، بل تسعى فضلاً عن ذلك إلى إيضاح الخصائص التي تجعل هذا المنتج بديلاً متمايزاً عن المنتج السائد حالياً، ومتفوقاً عليه.

ومنه، يتعينّ على المعارضة، في إطار سعيها إلى كسب جمهور أوسع، أن لا تكتفي بطرح شعارات تعزز ولاء جمهورها بالذات لبرنامجها، بل أن تطرح إلى جانب ذلك شعارات تجعلها بديلاً أفضل لدى الجمهور الآخر، جمهور الموالاة، الذي يرى أن ثمة قضايا لا تطرحها المعارضة في ممارستها اليومية، بل اكتفت بذكرها في بيانها التأسيسي، وانبرت بعد ذلك إلى اللهاث وراء طروحات الشارع وهتافاته.

وبعبارة أخرى، تقتضي الحنكة من المعارضة "الأولى" أساساً أن تتغلب على هواجسها. خصوصاً وأن طرح مبادرات سياسية واقعيّة، في إطار الشعارات المدروسة، بعيداً عن أي نزعة شعبويّة، قد يعفي سوريّة من خوض مآلات دموية ودفع فاتورة قاسية تجرها إليها سياسات الأجهزة، التي وجدت– منذ اليوم الأول للمظاهرات– في الحشد الطائفي وفي التلويح بالاقتتال الأهلي الدموي وبالتدخل الخارجي وبانقسام البلاد الأسلوب الوحيد لوأد الحراك الشعبي وقمع المظاهرات.

وإذا شئنا تجنّب داء التشكيك بالنوايا، فإن هذا بالضبط ما تحاول بعض أطراف المعارضة "الثانية" أن تتصدّى لإنجازه، مستندة إلى حقيقة أن ثمة شريحة موالية واسعة وفاعلة بدأت تبدي انتقاداً تتطور جديّته للنظام ولأسلوبه في معالجة المسائل المطروحة أمامه. وأن هؤلاء ليسوا شبّيحة ولا أجهزة أمنيّة، كما لم تتلوث أيديهم بدماء السوريين ولا بالمال الحرام، بل يشكّلون شريحة واسعة نسبياً، استفادت من اعوجاج النظام خلال المرحلة الماضية.

إنها شريحة تأمل أن ترى في سورية الجديدة الموعودة مكاناً مقبولاً لها، بدلاً من الجحيم الذي قد تحُشر به فيما لو استمرت على موقفها، وفيما لو استمر النظام الرسمي بالمغامرة بمصالحها بل وبوجودها. وهي بالمناسبة شريحة عابرة للطوائف والقوميات والطبقات والإثنيات والانتماءات المناطقية والحزبية، تشمل كثيراً من البعثيين، بل وبعض من يطلقون على أنفسهم معارضة "الطريق الثالث"، وما سواهما من تدرّجات الموالاة. إنها باختصار بحاجة إلى سماع شعارات تطمئنها قبل كل شيء، حتى يتم تحييدها، أو ربما اجتذابها، بما يسهم في تخفيف الفاتورة الدامية للسيناريو المغامر.

ثمة في الواقع تقصيرٌ في طرح الشعارات المدروسة من جانب المعارضة "الأولى". وهو تقصير لا يكتفي بكونه يترافق مع توجيه أصابع الاتهام إلى شعارات المعارضة "الثانية"، بل يتعدّاه إلى الامتثال لهتافات الشارع النابذة التي قوبلت خلال الفترة الأخيرة باستياء غير مسبوق من جانب قسم واسع من جمهوري المعارضة والانتفاضة، أعاد إلى السطح ذلك التساؤل عن نزاهة الاستفتاء الذي تجريه إحدى صفحات الفيسبوك لتسمية أيّام الجمعة، ومدى هيمنة مجموعة غير صغيرة من الفيسبوكيين، بأسمائهم الحركية المنحولة، القادرين على أن إمالة كفّة الاستفتاء دوماً، وحرفه عن أي شعار مدنيّ حداثي ينير جانباً من المستقبل المشرق الذي ينتظر البلاد.

فباتت "الدولة المدنيّة" مثلاً مسألة محلّ نقاش، يحسمها استفتاء فيسبوكي على اسم أحد أيام الجمعة.

# أسئله صادقه

يحيى القضماني

اسئله صادقه اوجهها للموالين من ابناء بلدي واعاهدهم بانني لو اقتنعت باجاباتهم سارتد وساتوقف عن تأييد هذه الثوره وإذا لم يستطيعوا ايجاد اجابات مقنعه لهم ولي ارجو منهم على الاقل قول كلمة حق وموقف صادق من هذه الثوره :

1 ـ هل معظم الشهداء الذين يسقطون كل يوم من المتظاهرين أم من العصابات المسلحه .وهل اطلاق النار يبدأ على المتظاهرين ام على العصابات المسلحه

2ـ اذا كان النظام مضطرا لقتل العصابات المسلحه فلماذا يطلق النار على المشيعين لشهدائهم

3ـ هل انتم راضين عن دور الشبيحه وما سيتركه من اثر خطير على مجتمعنا

4 ـ هل الاصلاح اقترب او يمكن ان يقترب من عقود رامي مخلوف والتي تكمل على ما تبقى من الخزينه الخاويه اصلا لانه ببساطه يملك ثروة تزيد عن ستين مليار دولار فهل وافقتم على الاصلاح الذي اكتملت فصوله على هذا الاساس وهل يستطيع احدكم ان يواجه النظام والذي يقول حتى اليوم ان رامي مخلوف انقذ السوريين بتبرعاته السخيه

5 ـ هل يقود حزب البعث الذي ينتمي معظمكم اليه الدوله ام اجهزة الامن وهل تغير شيئا عليكم بوجود البند الثامن من الدستور او بدونه

6 ـ هل اخذ النظام باي رأي تقدمتم به اثناء جلسات الاستماع او الحوار كما تسمونها وما الشيء الذي تقرر ويمكن ان يغير هذا الواقع المؤلم

7 ـ هل تعتقدون معي ان احداث 82 الداميه كان سببها صراع على السلطه بين النظام وحزب سياسي استخدم السلاح للانقضاض عليه بينما ثورة الشعب السوري المباركه الان ليس ورائها اي حزب او فصيل سياسي وهي ثوره شعبيه تنامت بسبب اخطاء النظام ومن اجل الكرامه والحريه المسلوبه من الشعب منذ اربعين عاما وهل تعتقدون ان الشعب يستمر بثورته لعام كامل ويقدم كل هؤلاء الشهداء بسبب المال وتلفزيون الجزيره والعربيه كما يردد مع النظام

8 ـ هل تعتقدون ان المدن التي دمر النظام بعض احيائها يمكن ان ترضى بحكمه بعد الان وهل الارهاب والقتل والاعتقال وهتك الاعراض وسيله صحيحه لمحاربة الشعب الذي يدافع عن نفسه ويطالب بحريته وكرامته واذا ما زال النظام يقول ان هناك معارضه شريفه فماذا فعل بحقهم الم يضعهم الان في سجونه ام هربوا منه ومن بطشه

ارجو ايها الاخوه ان تجيبوني ومهما كان الجواب سنظل جميعنا اخوة وشركاء في هذا الوطن الذي يفجع بالظلم الذي يجتاح ارضه الطاهره على مدار عام كامل ونحن ننتظر الفرج وما من توقف عن القتل او وخزة من ضمير لهذا النظام القاتل.

# صحفية جزائرية تروي رحلتها لسوريا

وصفت مصورة صحفية جزائرية رحلتها إلى سوريا بالكابوس، مشيرة إلى أنها غطت عدة حروب في كثير من الدول، من بينها العراق ولبنان وليبيا، معتبرة أن الحرب في سوريا "مختلفة، فهي حرب بين مدنيين، حرب بين جيران".

وتروي زهرة بن سمرا –وهي مصورة في رويترز مقيمة بالجزائر، سافرت في مهمة إلى سوريا في فبراير/شباط الماضي– قصتها مع هذه الزيارة، فتقول: قال المتصل من سوريا "كوني جاهزة خلال 30 دقيقة". وأضاف "إذا أردت الذهاب فعلينا أن نذهب الآن".

منذ اللحظة التي غادرنا فيها فندقنا بتركيا قرب الحدود، سافرت أنا وزميلي على طرق ترابية يستخدمها المهربون والمزارعون حول الحدود الشمالية لسوريا، فقد كانت الطرق السريعة تعج بالجنود والشبيحة.

وفي اختلاف عن الوضع في ليبيا، حيث كانت الخطوط الأمامية واضحة تفصل مقاتلي المعارضة عن قوات الزعيم الراحل معمر القذافي، فإن الخطوط الأمامية في سوريا تمر عبر القرى وتتقاطع مع الأراضي الزراعية في متاهة غادرة فربما تكون قرية ما موالية للرئيس بشار الأسد وتتدلى صوره من كل نافذة فيها، بينما تسيطر المعارضة على القرية المجاورة، وتتألف ثالثة من تركيبة طائفية حيث لا تستطيع أن تثق في جارك.

في ليبيا كانت هناك كيلومترات تفصل بين الأطراف المتحاربة، أما في سوريا فلا يفصل بينها سوى ياردات، الحرب تدور من منزل إلى منزل، وفي ظل جهلنا بالأرض كنا نعتمد كليا على مرشدينا من المعارضين حتى نستمر على قيد الحياة.

عندما اقتربنا من الحدود، تركنا السيارة التي كان يقودها أحد المرشدين وركبنا جرارا كان ينتظرنا، كان الجو ممطرا، كانت الحقول موحلة، حاول مرشدنا طمس آثار الأقدام التي خلفناها في الطين خشية أن نترك أثرا وراءنا.

وصلنا إلى ممر مائي اضطررنا لاجتيازه، كانت الوسيلة الوحيدة للعبور هي الجلوس في حيز شديد الضيق بكل معداتنا الثقيلة فيما يشبه حوضا معدنيا ربما تستخدمه الفلاحات لغسل الملابس، نجحنا في الوصول عن طريق شد حبل. وحين وصلنا إلى الجانب الآخر كان الظلام قد بدأ يحل.

قصف وقتل

بعد أن قضينا الليل مع أسرة، جاءت سيارة لتقلنا خلسة إلى قرية قرب إدلب حيث سنقيم لخمسة أيام، سمعنا قصفا أثناء الليل، انتظرنا وفي الصباح التالي اصطحبونا إلى قرية أخرى، افترضنا أن القتال –بما في ذلك القصف الذي سمعناه– قد انتهى، حين وصلنا كان الدخان يتصاعد من بعض المباني بينما دخلنا من طرق خلفية.

أخذ سكان يقتربون منا، وقال أحدهم "تعالوا لتروا والدي، لقد قتل". وقال آخر "تعالوا من هذا الطريق، هناك جثتان، تعالوا لتروا منزلي الذي دمر". بدا أن القصف كان عشوائيا، قصفت منازل في مناطق متفرقة من البلدة وكأن رجلا أعمى كان يطلق النيران، ولم يستطع أن يرى أو لم يعبأ بأين تسقط القذائف.

اصطحبنا سكان إلى منزل قالوا إن امرأة في السبعين من عمرها قتلت فيه، سقطت عليه قذيفة المرأة في غرفة نومها وقد خضبت بالدماء.

ذهبنا إلى المسجد، كانت هناك جثتان غطيتا بحصيرة، إحداهما كانت بلا رأس، ولعلمي بأنه ما من وسيلة إعلام ستنشر هذه الصور البشعة، لم أرسل فيما بعد سوى الصور التي تعطي لمحة عن المشهد. دفن ضحايا أعمال العنف في حديقة تحولت إلى مقبرة، فالذهاب إلى المقبرة ينطوي على مخاطرة كبيرة.

منذ لحظة عبورنا الحدود من تركيا، كان الرعب واضحا على وجوه مرشدينا وكل القرويين، لكننا لم نلمس بالفعل ما يعنيه أن تكون تحت الهجوم وأن تكون الهدف، حتى اليوم التالي حين جاء أحد المعارضين ليرافقنا إلى قرية قرب حلب، حيث هاجمت القوات الموالية للأسد شاحنة تركية قبل ذلك بيوم.

كان في القرية مقاتلون للمعارضة وشبيحة يعملون لصالح الأسد. تم نقلنا من ملاذ آمن إلى آخر، استطعنا أن نرى القناصة على الجانب الآخر من الشارع, وعندما غادرنا القرية قابلنا دورية للجيش فأصيب مرشدنا بالذعر واستدار عائدا بالسيارة، أثار هذا الانتباه وانطلق عيار ناري انحرفنا إلى طريق جانبي، وفي لمح البصر تعرضنا لإطلاق نيران كثيف، مرت الصواريخ من فوق رؤوسنا وصوبت البنادق باتجاهنا، لكننا تحركنا بسيارتنا ببطء خوفا من أن تؤدي القيادة السريعة إلى إثارة المزيد من الانتباه.

أخيرا توقفنا في بستان للزيتون حيث انبطحنا ووجوهنا في الطين، كنا نسمع القصف عن بعد وعلى مقربة بدأ الغسق يهبط، واستطعنا تمييز الضوء الأحمر لنيران القذائف المضادة للطائرات وهو يضيء السماء. كانوا يطلقون أسلحة ثقيلة على الصحفيين، لم نكن مسلحين وكذلك مرشدنا.

في نهاية المطاف، ركبنا السيارة وأخفينا كل معداتنا في صندوق السيارة خوفا من أن تفصح عن مهنتنا إذا تم إيقافنا، قاد مرشدنا السيارة في طرق ترابية واتصل بمعارضين عند كل منعطف ليعرف أي الطرق والمنازل آمنة، أخذنا إلى منزل.

ملاحقة الصحفيين

قال المرشد "يجب أن أخرجكم من هذه القرية الليلة، يعرفون أنكم هنا وسيداهمون المنازل الليلة بحثا عن صحفيين، لا تركضوا امشوا بصورة طبيعية". كنا خائفين جدا، وكان من الصعب أن نسير ببطء. بعد التوقف في منزل آخر وصلنا إلى منزل ثالث يملكه رجل متعاطف مع المعارضين سرا، ونتيجة ذلك تعتقد السلطات أنه فوق مستوى الشبهات.

بعد خمس دقائق من دخولنا، سمعنا سيارات بالخارج وفي آخر الطريق جنود يدقون على الأبواب. كان زميلي مع رجال العائلة وكنت أنا في غرفة مع امرأتين أخريين وعدة أطفال يلعبون على الأرض. اتفقت النساء على أنه إذا دخل الجنود فسيخبرنهم بأنني صماء وبكماء لإخفاء لهجتي التي تنم عن انتمائي لشمال أفريقيا.

قدمت لي مضيفتاي القهوة وحاولتا تجاذب أطراف الحديث معي، لكن كل ما استطعت التفكير فيه هو ما سيحدث إذا داهم الجيش هذا المنزل، فكرت في أن هذه الأسرة بالكامل ستقتل بسببنا. ولم يدق أحد على الباب. أخيرا سمعنا انتقال الدورية إلى حي آخر لم تمر سوى 20 دقيقة لكنها كانت كدهر.

غطيت عدة حروب في كثير من الدول، في العراق كان يمكن أن يجافيك الحظ في كثير من الأحيان ويحاصرك تفجير انتحاري، في لبنان كانت هناك دائما مناطق آمنة وأخرى خطرة، في ليبيا في أغلب الأوقات كان من الواضح من يقاتل ومن لا يقاتل، في سوريا كانت الحرب التي رأيناها مختلفة، فهي حرب بين مدنيين، حرب بين جيران.

غادرنا سوريا من خلال طريق آخر يستخدمه مهربون عبر أراض زراعية موحلة، لم أغتسل أو أغير ملابسي خلال الرحلة التي استمرت خمسة أيام. عندما وصلنا إلى تركيا بدأنا نسترخي، في ذلك الحين بدت رحلتنا إلى سوريا سريالية، وظل الخوف الذي شعرنا به تحت النيران يلاحقنا مثل الكابوس.

وعندما بدأنا نستعد للعودة إلى ديارنا، تلقينا رسالة بالبريد الإلكتروني تقول إن الشبيحة قتلوا الرجل الذي أعطانا منزله لخمسة أيام في تلك القرية التي تسيطر عليها المعارضة في إدلب.

كانت ظروف عملنا في سوريا شديدة الصعوبة، وكان من الصعب التقاط الكثير من الصور الصادمة الجريئة التي تصنع أكثر اللقطات الفوتوغرافية تأثيرا، لقد جازف هذا الرجل بحياته حتى نستطيع أن نقدم على الأقل سجلا بسيطا للخوف الذي يعيشه السوريون كل يوم، أيا كان الجانب الذي ينتمون إليه.

آه.. ما أقسى الجدار
عندما ينهض في وجه الشروق

ربما نقتل كل العمر
كي نثقب ثغرة..
نسرق النور للأجيال مرة..

ربما لو لم نر هذا الجدار
ما عرفنا قيمة الضوء الطليق

أمل دنقل

إيقاعات

# زكريا تامر

# سنضحك

## جرائم الوحش

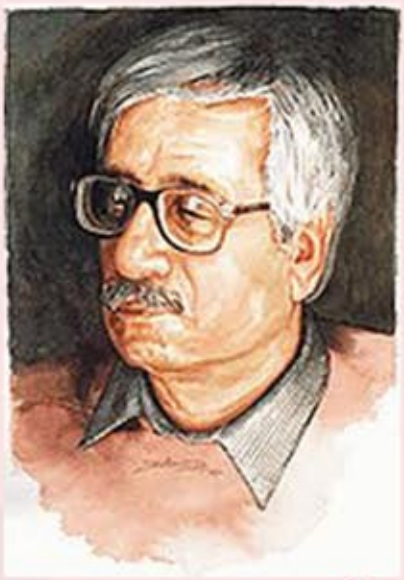

تلفن لي أحد الأصدقاء معاتباً زاعماً أني أظلم الجيش السوري، فأوشكت أن أمزق ثيابي غيظاً وقهراً، فلو كنت باحثاً لأعددت دراسة مطولة موثقة تبين جرائم هذا الجيش بحق بلده وشعبه، من الانقلابات العسكرية التي قضت على الديمقراطية الوليدة وكانت الجسر الموصل إلى الاستبداد الفردي والطغيان الى المليارات التي اقتطعت من قوت السوريين لتبدد على إعداده وتسليحه الى استيلائه على أجمل سني شباب سوريا إلى جرائمه في لبنان والتي تحتاج إلى عقود من الزمن حتى يفرق اللبناني العادي بين المواطن السوري وبين الجندي السوري المحتل إلى تحوله الآن أجيراً وحارساً وحامياً للطاغية.

## الكراسي المجنحة

الكراسي ليست متشابهة، فالكرسي الذي يجلس عليه الزوج التعبان مساء قبالة جهاز التلفزيون يختلف عن الكرسي الذي يجلس عليه ضابط الشرطة الماثل أمامه متهم يابس الرأس يأبى الاعتراف بما هو مطلوب منه على الرغم من أنه تعرض لشتى أنواع التعذيب..

والكرسي الذي يجلس عليه مواطن في مقهى ليس كالكرسي الذي يجلس عليه أستاذ جامعي منهمك في التحدث إلى طلابه وهو يشعر أنهم صلصال يتكوّن بين أصابع يديه مثلما يريد..

والكرسي الذي يجلس عليه الموظف الصغير لا علاقة له بالكرسي الذي يجلس عليه الوزير محاطاً بمن هم مستعدون لإطاعة الأوامر قبل أن تصدر..

والكرسي الذي تجلس عليه امرأة في عيادة طبيب محتضنة طفلها المريض ليس كالكرسي الذي يجلس عليه صحافي يكتب كل يوم موزعاً نصائحه على رؤساء دول العالم، وما يكتبه هو أوامر صارمة تنكرت في هيئة نصائح أخوية..

والكرسي الذي يجلس عليه التلميذ يوم الامتحان ليس كالكرسي الذي يجلس عليه المليونير المتذمر من عجزه عن إحصاء الملايين التي يملكها..

والكرسي التي تقعد عليه طفلة في حديقة عامة ليس كالكرسي الذي يقعد عليه الراغب في بيع بلاده شققاً مفروشة وبأسعار مخفضة غير قابلة للمزاحمة.

الكراسي ليست متشابهة، فولاة الأمر لهم كراسيهم الوثيرة التي يتقنون الحفاظ عليها، ولكنهم في الآونة الأخيرة تبدلت أحوالهم، وتحوّلوا قطعاً من اللحم المقدد ترتجف فزعة من مستقبل غامض مجهول، وشعروا أول مرة في حياتهم أن كراسيهم تبدلت أيضاً، وتمتلك أجنحة غير مرئية، وتتأهب للطيران بعيداً عنهم، فسارعوا قبل أن يفوت الأوان إلى فعل كل ما يسعد حاكم العالم( ووكيلته في الشرق الأوسط )، الخافض، الرافع، وصانع الكراسي ومختلق القاعدين عليها بغية إقناعه بأنه لن يجد خدماً أخلص وألطف، ولكن كل ما فعلوه كان بغير جدوى، ولم يحظ إلا بمزيد من الغضب والإزدراء، وتابع حاكم العالم القادر على الخفض والرفع تفحص جحافل المرتزقة لاختيار من يراه مناسباً للقعود على تلك الكراسي، فحمد المواطنون الله الذي لم يجعلهم من القاعدين على كرسي من تلك الكراسي، وهم لا يبالون بها سواء أبقيت أم تلاشت، ويفضلون القعود على أرض سيدفنون يوماً تحت ترابها.

# انبلاجُ النباح

تصرخُ برغبةٍ صماء
تتعطر من الوادي السحيق تراباً وأنيناً لا ينوب
تُأكلُ الحمام أوراق الشجر
تتغذى على ندى الانتظار
حتى النباح الوحيدُ الذي يعلو من وشوشة الليل يضيعُ..
يتهجينَ الرغبات العارياتِ
يزرعنَ اليقطينَ في العراء..
يعددنَ أصابعهنَ ليتأكدنَ أنهنَ لازلنَ
تحت سقف الإله..
الأجيالُ تهجرُ مداراتها المريضة
بحثاً عن ملح وزنجبيل..
بضع بلاهاتٍ لمعت بذورها
والجداتُ يزرعن الحنطة
قرب بابهن المظلم أكثر من الطين
يعتقدن أن الأرز سينثر
على العائد من وعكةٍ روحية..
يجمعنَ الكؤوس والنيازكِ الهاربة
للاحتفاء على الطريقةِ العفرينية
يتوعدن الحمام بالطيران حين ينبلجُ النباحُ
والحمام يأكل البذور فيتقنُ دورهُ
مثل خرافةٍ متقنة
تنير أجسادهن المتضوّعةُ المتلعثمةُ النحيلة
بشعلةٍ كاذبة..
يأتي الغائبُ من أعالي السُحبِ
يخبئ وجهه المُقشّر
تحت عباءة الأمنيات المتواطئةِ البَنفسجية
المحمّلة بعَوسجٍ ورائحةُ العَقيق تفوحُ من ذوبانه
ينسى أنه مولودٌ من غصن أخضرَ
فيضع وجوده على حافة كعبه..
ليتربص بسقفٍ للفناء
يصنع من البرق ضحكةً
ينثر دراهمهُ القليلة على خرائب الأحبة
فتصبحُ القرية مسالخُ معطرة
من أجسادٍ ملقاةً على كتفه
لغسل أعلى سقفٍ في مبنى الخطيئة
يقرأ الفاتحة
دون البسملة
دون أن يرى شواهد المقبرة..
فيعودُ رواحاً ومجيئاً حتى نصف الانكسار..

مصطفى سعيد

# لم أعد أطيق الظلام

مروان خورشيد

لم أعد أطيق الظلام
ولم أعد أكتب شعراً يتوارى عن المعنى
ولا يقول للقاتل
إنك لست المقصود بالكلام
بل سأكتب شعراً
خارجاً من حداثة اللغة إلى حداثة الفظاعة
سأكتب عن شاعر
كنت أظنه ثائرا على الشعر
بارعاً في كتابة القصائد عن المقاومة
ثرثاراً عن القضية
وهو يردد عاش القائد ..عاش القائد
القائد الذي باع دمه في البازار

لم أعد أطيق الظلام
قالها حمزة
عرّاب النهار
وهو يمرر لدرعا
حليب الصغار
قالها ولم يكن في باله
وحوشاً على الطريق تفتك بالأطفال
وهو الذي لم يكتب على الجدران.. غير هبوب الرياح
أيها القتلة :
مرّوا من فوق جسدي الملغوم بالحرية
فسوف يأتي الصباح

لم أعد أطيق الظلام
قالتها في الرستن ..هاجر الخطيب
كنا في طريقنا إلى المدرسة
وكان الحاجز يفصلنا عن رسائل خبأتها العصافير في الرياح
واذ بحريق تورّد بنفسجاً للحرية
وتساقط من أعالي حقدهم للنهار

لم أعد أطيق الظلام
قالها زرادشت وهو يسكب جسده على ثرى قاسيون في الشام
الفتى الكردي المولود من رحم فلسطينية
لم يبخل على أمه
حين اصابته رصاصة اسرائيلية ولم تقتله
فعاد لينتفض في دمشق على المقاوم الثرثار
فقتلته رصاصة ليسيل دمه غزيراً في حواري الشام
زرادشت قبل أن يسكب روحه
أوصى أمه ان تسقي أشعار "درويش" في حديقة الدار
وأوصى أباه ان يرعى نسريناته في جبال كردستان

لم أعد يا زرادشت شاعر اللغة مواربا دمك
وقد فاض بتفعيلات الحرية
أنا مثلك ضحية التنميق في الكلام
قبلك كنت أهرب إلى صخرة
أحتمي بها وأصوب رصاصاتي للأعداء
بعدك لم أعد بحاجة إلى صخور الكلام
كي أواري الجسد من مرمى الرصاص
عراة الصدور
رأيتكم على الشاشات
تهبطون من قاسيون إلى الغوطة.. إلى حمص ..إلى قامشلو في أقاصي البلاد
لم تعد اللغة بحاجة إلى الضمير الغائب
طالما غاب في استفهامات الحدث وذهول الحديث عن عصر
بوعزيزي الذي تنقل فجأة بين الأيام
لم نعد نطيق الظلام
ولم نعد أسرى جمهورية غيبت كل أقمارها عن الإضاءة
وراحت تسترق لجعجعة وريث ظن في اسمه زئير الأسماء
لم نعد نطيق الكلام
عن نوم تربى في خوف الأسرّة
استباح رنين الساعة فلا دقتْ على ميعاد القيامة ولا دقّ معها الصباح
لم نعد إلا أن نطيق الكلام
عن حمص التي تخدرت في أغاني "الركيع" أبو وديع
فجاء من سباع أحيائها
شديد الرياح
يقلب الطاولة على لصوص البلاد
لم نعد إلا أن نطيق الكلام
عن قرى وبلدات أضعنا أسماءها من كثرة ما لقنوا سمعنا اسمه في كل مكان
اليوم أصبحنا نعرف أين تقع الحولة من بانياس
وأين تقع الجيزة من طيبة الإمام
وأين تقع الخالدية من باب عمرو وباب السباع
وأصبحنا نميز بين قرية أحمد البياسي البيضة
من حي البياضة الحمصي
وأصبحنا ندرك كم المسافة قريبة بين عامودة الكردية وسهل حوران
وأنا
لم أعد أخاف على قلبي العفريني
ان تاه
أو ضاع
في حب غجرية على ضفاف العاصي أو الفرات..

# قتلى و مجروحون

أحمد زكريا

شاعر من مصر

أنباءٌ عن الأحداثِ..
أحداثٌ عن الأنباءِ..
أنتِ معي..
هتافاتُ الميادين..
القنابلُ والدموعُ تسيلُ
صوتكِ لا يُفارقني..
الرصاصُ الحيُّ..
عيناكِ..
اعتصاماتٌ..
رجالُ الأمن.. مذبحةٌ..
أحبكِ قبل أن يحُصى دمُ الشهداءِ في الحَارَاتِ عند المغربية
كيف أنسيكِ المدرعة
التي داستْ على الأزهار في بدء الربيع بقُبلةٍ؟
صوتَ القنابل بالأغاني العاطفية؟
كيف أنسيكِ الدماءَ بوردةٍ بيضاءَ؟!
أو أنسيكِ أنَّ الجيشَ حاصرَ ليلَ أهلكِ بالشوارع..
أنَّ أطفالا هناك تموتُ بالحرية..
فيرشُّ أهلكِ قاتلي أبنائهم بالأرز في وجه المدافع..
أنَّ أختكِ قد تموتُ بطلقةٍ بطريقها نحو الصباح..
وأنَّ دق الباب لا يعني اقتحام البيت دوما
لا تخافي..
أنا الوسادةُ تحتَ رأسكِ..
حلمُكِ السري لم تكشفْهُ أمريكا
محطتُكِ الأخيرةُ..
شالُكِ الكحلي إنْ هُزَّتْ ضفيرةُ..
كيف أنسيكِ الحنينَ إلى التراب هناك
بالأحلام عن غدنا هنا؟..
أنسيكِ نفسكِ بي، وأنسيكِ الوداعَ؟
فقلتُ أرسمُ بلدةً لنعيشَ فيها وحدنا
لا بحرَ فيها.. لا بواخرَ
لا سماءَ.. ولا مطاراتٍ

# قصص من الثورة السورية

## تصبحون على وطن

**لون الحبر أحمر**
**كتب بهذا اللون: مروة البنا**

استيقظت من نومي فنظرت في الحجرة الصغيرة التي احتوتنا فرأيت جدي مازال يجلس جلسته المعتادة ..يغطي راسه ببطانية صوفيه خشنة الملمس ويبقي عينيه متجمدتان ترقب النافذة ..لاشيئ يفعله سوى مراقبة النافذة امي ..تستيقظ من نومها تطيل النظر في السقف في اعمدة الحجرة تسرع الينا بلهفه ونحن قربها نفترش الارض تتفقدنا واحد تلو الاخر ...وكأنها تعدنا العد الصباحي المعتاد
يستيقظ اخي الصغير ليبدأ جولة من الاسئلة المؤلمة لامي
اين بابا؟؟
لماذا لم يأتي حتى الان ؟؟
تهمس امي قائلة له : بابا بطل ..راح يقتل الحرامية ويرجع
يرد عليها : ياماما قديش الحرامية كتار لحد هلأ ما قتلهن كلن
وتصرخ امي في وجهه تسكته بلا جدوى يبدو ان هذا الصباح هادئ نوعا ما
كالعادة لايوجد خبز في البيت ..وبدون تردد اشعلت امي موقد الحطب واخذت نصنع لنا شيئ يؤكل ..قد يكون هذه المرة ارز وعدس لا يوجد عندنا برانامج معين للوجبات ..والافضل من ذلك لم يبقى بين اخوتي وعماتي من سيقول لا احب هذا الطعام ..فالجوع قضى على كل اشكال التمرد تجاه الاطعمة التي لم يكن سابقا مرغوب فيها ..
همس جدي ..الذي يرقب النافذة ..هس هس هدووووووووء
تجمد الكل في مكانه
الكل جلس بلا كلمة ولا صوت
اسرعت الى الحمام لاقضي حاجتي
نادت امي ابقى هنا ياحسام
قلت لها سأعود اني مضطر الان للحمام
دخلت الحمام واقفلت على نفسي والبيت ساكن لا نفس ولا كلمة ..ابتعلوا انفاسهم جميعا ..
سمعت اصوات غريبة فجاة اقتحمت البيت
صراخ
بكاء
لم ادري ماذا افعل
يبدو ان من الافضل الانتظار وعدم الخروج
كان هناك خزانة صغيرة في الحمام تضع فيها امي المناشف النظيفه والصابون
فتحتها اختبات فيها
مازالت الاصوات تتعالى،شتائم وكلام بذيئ الاصوات تعلو وتعلو ،صوت نحيب ..انه جدي ..يصرخ
مازلت في الخزانة ارتجف بردا وخوفا.تعالت الاصوات والصرخات ..لست ادري مالذي يحدث هناك سمعت صوت غريب يقول ..وينو جوزك ؟ صرخت امي والله مابعرف.والله مانوهون وصرله اشهر مارجع لعنا.
صرخ صوت اخر ...رح نربيكم ياولاد الكلب
سمعت صوت اخي احمد يصرخ ثم انقطع الصوت وتعالت صرخات امي وعماتي مازلت في مكاني.
المكان مظلم هنا حمدت الله انني كنت نحيل الجسد كي تحتويني هذه الخزانة بدات الاصوات تهدأ كنت انتظرلحظة اقتحامهم الحمام.لم تأتي اللحظة..
مرت ساعه ..تذكرت قصة امي التي دائما كانت ترويها لنا قصة النعاج حين يأتى الذئب مسكنهم وياكل كل النعاج وتبقى النعجة الصغيرة مختبأه وحين تاتي الام فتخبرها النعجة التي نجت بما حدث تذهب الام وتاخذ معها مقص فترى الذئب نائم فتمزق بطنه وتخرج النعاج منه وتملئ البطن بالحجارة والصخور ..فيصحو الذئب عطشا وما ان يقف بباب البئر ليشرب يهوي في قعره ويموت وتعود النعاج لامها تحيا بسعادة وحب..
لم اعد اسمع صوتا
بقيت مكاني
يبدو ان اهلي ذهبو الى الجيران خوفا ممن اقتحم عليهم البيت ..تسللت بعد مضي وقت طويل من انقطاع الصوت نظرت من ثقب باب الحمام فكان باب بيتنا مفتوح ..
لاصوت ولا حركة .. فتحت الباب وخرجت ...وجدت دما يملئ الحجرة ..جدي وامي واخي وعماتي ..وجدتهم هناك لم يذهبوا لبيت الجيران ..كيف لهم ان يذهبو وقد ذبحوا كلهم ..تماما كنعاج حتى امي ذبحوها ..راس اخي ويد جدي وراس امي ..ليتهم تركوا لي امي كي تستعيد لي بقية اهلي من بطن الذئاب ..
ليتني لم اختبئ .هاهم الان في أمان. وانا مازلت في الخوف أحيا
ليتني لم اختبأ
كي اموت في حضن امي
فالموت في حضنها اكثر امان من تلك الخزانة اللعينة
..لم استطع البكاء ولا الصراخ
اسرعت فجمعت راس امي الى جنب راس اخي وجثة جدي الصقت بها يده المقطوعة تناولت البطانية وغطيتهم جميعا لان الجو كان باردا جدا وقلت لهم:
تصبحون على وطن ..

# مقاتل بالحروف والكلمات

جميل الدمشقي

في مرافئ الأطلال التقيت البارحة بابنة أخي نحكي عن الدنيا وما آلت إليه... ونسرد في سطور قصص الحرية على أصابع "مالك جندلي" وهي تنقلنا فوق بقايا النيران... فنسمع صرير الحجر تحت أرجلنا بلا أنين... ففوق الأرض هناك انسان وضع أمام أعينه هدفٌ هو العودة للبيت بالحرية.. وإلا فليغادر الأرض إلى رحمة الله لينعم من الآن بالحرية

قالت لي: ونحن نمشي بين البيوت التي سكنها الصمت.. ولونتها دماء أصحابها... وصرخات صغارها.. فيما حمل البعض شنطة سفر ليجرب حياة عاشها قبلنا الفلسطينيون.. فاكتشفنا أن لحظات الهروب لم تسمح بشنطة سفر.. وإنما بكيس من البلاستيك.. ظل يؤذي آذاننا التي لم تعد تسمع بعد شهور من القصف والموت... قالت لي: ما احساسك عمي؟؟!!

تسألني عن احساسي وأنا المقاتل أبداً بالكلمات حين يحكي القلم عن الألم

تسألني وهي تعود بي بالسؤال إلى سنين أكلها غبار الأيام... يوم قررت أنا وبعض من أصحابي الغوص قرب سفينة راسية قبالة الشاطئ.. فنزلنا إلى قاع البحر... متمسكين بسلسلة المرساة... حيث التحدي كان بالوصول هناك

أذكر يومها أن عددنا كان كبيراً عند البداية... وكنا ننزل والابتسامات مرسومة على وجوهنا... إلى أن بدأ العالم... عالم الأعماق يقتل ضوء الشمس النازل هناك... فشعرت حينها أن القليل معي قد أكمل النزول... خصوصاً وأن المسافة قد بدت قصيرة لأنفاسنا... ولكنها في الحقيقة لم تكن كذلك.

ازداد الصمت... وازدادت العتمة... وقل عدد الفريق إلى أن أعلنت الشمس الغياب المطلق... وأعلن البحر لوناً أخضراً بدلاً من أزرق الأشعار وأغاني فيروز... لأجد نفسي وحيداً متجهاً إلى الأعماق باحثاً عن المرساة التي وجدتها... فربطت عليها الشريط الأخضر الذي كان يدل على أنه أنا من وصلها بناء على اتفاق مسبق بيننا قبل الغوص

وساعتها كانت المفاجأة.... فقد انتهى الهواء في جسدي... وجاءت الصدمة الكبرى أني حسبت حساب النزول إلى الأعماق... فيما كان الصعود بلا حسابوانطلقت صوب السطح.. بسرعة تدفعها قوتي للبقاء... قوة روحي للحياة... ولكن الطريق بدا لي بلا نهاية... فالثواني تمر... وأعصابي تكاد تقول لي: انتهى أمرك... خذ نفساً وأنت تحت الماء... لتموت بلا هواء ونقفل الصفحة... صفحة حياتك بلا عناء

بدأ نور الشمس يُطل بخجل... وطاقتي قد وصلت إلى حدود الاستسلام... لكن الأمل بالبقاء... جعلني أجتاز المسافة كلها... لأستلقي بعدها يومين متعباً... مرهقاً... لا أبحث إلا عن راحة من موت.. لا دواء

ابتسمت ابنة أخي وقالت

رائع هو التشبية ولكن السؤال الأخير

صحيح أنت تُقاتل بالكلمات.. ولكن كيف ذلك

قلت لها: في عنوان القصة الجواب

# قصص من الثورة السورية

## إني أتنفس تحت الماء

أكثر من ساعتين أمضى في اقناع زوجته عدم الذهاب معه... فهو بالتأكيد سيرجع لها مع "فلذة كبدها" ولكن مايمكن أن تراه هناك يدمي القلوب وإذا ما أضيف لها معاملة الجزارين... فلربما تفقد هي عقلها وتصاب بالجنون من الاحساس العالي بالظلم الذي لا يمكن لمخلوق أن يتحمله أخيراً... اقتنعت

ومضى هناك رفقة صديق طفولته الذي ترك المدرسة في أوائل العهد... فانتهى به المطاف عاملاً على سيارة نقل عامة

يكفي نحن الأثنين.. سأستلم ابني وأخرج به على عربة المشفى لنمضي به إلى البيت... وهناك عند البيت.. أعرف أن الكل سيشارك ويساعد ولكنهم كما طلبوا مني في الهاتف.. يجب أن أدخل وحيداً وأن لا يكون في انتظاري في الشارع أكثر من رجل واحد

وقع على الأوراق التي صرح بها بأنه بكامل قواي العقلية متيقن بأن ابنه قد سقط من على سطح البناء.. قال للموظف.. لكني أسكن بطابق أرضي!! رد الموظف: كل يوم نفس الحكاية ولم تفهموا... هل تريد جثة ابنك أم أرسلها للفرن؟؟! إذن وقع هنا

وما هذه الورقة البيضاء... سأل الأب.. فأجابه الموظف: انها احتياط فلربما احتجنا توقيعاً إضافياً منك... نستعملها، هل أعيد تهديدي أم توقعها

على باب الصمت وهدير برودة الموت دخل ومعه عامل "الثلاجة" باحثاً عن الرقم 219... سحب المزلاج وقال له: هات العربة هنا... سسأعدك بأن تضعه على العربة على أن تترك لي "هويتك" هنا.. فأعيدها لك حالما تعيد لي العربة ولكن.. بقي عليك التوقيع الأخير

وضع كامل الملف على الجسد المسحوب خارجاً والمعبأ برائحة الموت المتجمد والمتحد مع أكوام بدت له في الداخل... وهو يسأل نفسه.. كم دمعة تكفي لكل هؤلاء؟؟!!! لكنه البرودة الخارجة تحولت في برهة إلى بركان متفجر من الأفكار.. ففي الداخل وبالتحديد الجثة التالية لجسد ابنه.. بها شئ غريب.. فادعى الرجل وكأن دواراً أصاحبه ليقع على تلك الجثة وليهنأ ولو لثوانٍ بجواب كان البركان قد أثاره

إن قلب ذاك الجسد مازال يدق... وألف سؤال يسأله لنفسه عن العمل.. وكيف سيتصرف والموت في كل مكان.. إلا في هذا الجسد

قال له العامل: لابأس.. المهم أن يفعل أخوته كما فعل هو... فالموت محتوم على كل من يفكر بأن بإسقاط النظام.. فهذا النظام... هو من يخلقكم.. وهو من يحكم عليكم بالموت.. فاحمل ابنك.. لأن النظام قرر له أن يموت.. لتعيش أنت وأخوته في ظل النظام

أمسك العامل بطرف بطانية رافعاً جسد ابنه المثقل بالرصاص في أماكن مختلفة بجسده وطالباً من الأب الامساك بالطرف الآخر فإذا بالأب يقول:

أتريد أن تعطيني هذه الجثة؟ فهذا ليس ولدي!! وأكمل قائلاً: ولدي هو هذا الذي بجانب هذا الجثة المتفحمة بأعقاب السجائر والضرب المبرح

قال له العامل: خذها... إذ على ما يبدو أن غبياً أخطأ في ترتيب الساقطين من فوق أسوار الحرية التي تريدونها

ترك الأب ابنه في الثلاجة ينتظر مجهولاً لا يعرفه أحد... وغادر بسيارة النقل قائلاً لصديقه: انطلق وبأقصى سرعه... فهو لم يمت... إنه حي.. ونريد أن نلحق به

قال له صديقه بعدما اطمأن الاثنين على عودة الأمل بما كانوا يحملون: هذا ليس ابنك... فأين ابنك؟؟؟؟؟؟!

أجاب الأب: سوريا أنجبت أولاداً كلهم لنا... كما الحرية كلها... لنا

# قصص من الثورة السورية

## قومي إكرامًا للانسان

**زمانها: 27-02-2012**
**مكانها: بابا عمرو**

أنا أسكن في منطقة باباعمرو.. ومدرستي بذات المنطقة حيث لا تبعد مسافة كبيرة.. حكايتي وبكل بساطة أنها ككل الحكايات... مدرسة ودراسة جامعية.. فانتقال من المعقد المقابل للسبورة في الصف إلى الكرسي الذي أمامها
أول راتب قبضته من عملي رفضت أمي أن أشارك في مصروف المنزل منه.. قالت: بكل ما استلمتي... اذهبي واشتري قطعة من ذهب لتتذكري مع الأيام راتبك الأول... ولكي تقارني دائماً الحياة الماضية بالحاضرة
وكانت السلسلة في رقبتي حيث أنتزعها بين فترة وأخرى وأعطها للصائغ ليعطيني تقيماً لها حيث اكتشفت بحساباتي الخاصة.. أن هذه السلسة يرتفع ثمنها للضعف كل ثلاث سنوات.. فيما يرتفع راتبي للضعف كل عشر سنوات
كانت الحياة في عائلتي غير مكلفة فأنا وأخوتي الأربعة نشارك في مصروف البيت.. اضافة إلى راتب والدي التقاعدي... ولكن
ولكن عندما تزوج أثنين من اخوتي وغادرا المنزل... وبقيت أنا وأختي نشارك في مصروف المنزل أحسست يومها كم الحياة مكلفة فأنا وهي بالكاد نصل لآخر الشهر بحثاً عن راتب الشهر الجديد
وحدثت الصدمة الأولى والأخيرة بحياتي.. فقد تزوجت أختي وصار على كاهلي مصروف البيت... وباختصار... لم يكن يكفي فانتقلت بكل بساطة ووضوح... إلى حرب من حروب البقاء... وبقاء بلا أمل في النجاة
أذكر شهوراً بطولها... لا عمل لي إلا البحث عن أي شئ يعمل على الكهرباء في غرفة ليس بها أحد... فقط لأطفئه... بحثاً عن أمل في انخفاض فاتورة الكهرباء التي تأبى أن تأتي إلا وتأكل نصف راتبي مهما فعلت.. ولا أمل
ابتسمت... وفرحت حينما مرت مظاهرات الحرية أمام منزلنا... وأجبت أمي وأبي أن سبب الفرح بذلك أننا كشعب سنكون قادرين على التحقق قريباً من أن فاتورة الكهرباء هي ثمن ما يصرفه منزلنا وليس منزل مسؤول لا همّ له إلا سرقتنا
ابتسمت أكثر وأنا أرى كيف تحول الناس إلى عالم من نوع آخر... ففي الأزمات عندما يعطينا الطارق كيساً من الخبز... ويمضي... تتعرف على شئ جديد في هذه الدنيا... أن هناك من يفكر بك كإنسان
ابتسمت وأنا أسمع صوت الرصاص في كل مكان هنا في باباعمرو... قلت يومها لأبي: طالما أنهم يقتلوننا... فهذا أكبر تأكيد أنهم على خطأ... وأننا على صواب
ابتسمت أكثر... عندما لم يسمح لي أحد لا أعرفه المشاركة في المظاهرة يوماً من الأيام... قال لي: عودي لمنزلك فمظاهرة اليوم غير مؤمنة للحرائر... وأرسل معي طفلاً صغيراً لمرافقتي عاذدة للمنزل
قال لي الطفل على الطريق: ألستِ أنتِ أستاذة العلوم بمدرستنا؟؟!! فقد عرفني رغم اخفائي لكل شئ قد يدل علي... ومن يومها لم يخف كل تلاميذ المدرسة علم الاستقلال خلال دروسي إذ يبدو أن الكل عارف بكل شئ ولكنهم ذاتهم... لم يكونوا كذلك قبل أعوام
وابتسمت... عندما طرق شاب باب منزلنا حاملاً أكياساً من الخبز والمعلبات والشموع بعد اسبوعين من قصف لا ينام... يومها: خلعت السلسلة من رقبتي وأعطيتها للشاب قائلة: هل تعرف لمن توصلها؟؟!!
وابتسمت أكثر وأكثر عندما طرق الباب أحدهم... ممكن كنت أعرف أنهم يسكنون باباعمرو من المحطات الفضائية... قال لي: وصلنا تبرعك.. ولكن أعتذر فلن نقبل به.. فهذا ذكرى راتبك الأول... ونحن لم نصل لدرجة نجعل بها الناس تتخلى عن مجوهراتها.. قلت له: وكيف لي أن أساعد والنار تمطر علينا دون توقف؟؟!!
قال لي: سيأتي منزلكِ كل يوم حين يخف القصف طفل صغير... أصنعي في قلب كل طفل أمل... أصنعي الأمل في قلوب هؤلاء.. فهذا أهم من كومة من مال أو ذهب
ذهب الرجل... وبدأت أسمع صوتاً ينادي في قلبي الأمل
قومي من تحت الردم كزهرة لوز في نيسان
قومي من حزنك قومي
إن الثورة تولد من رحم الأحزان
قومي من تحت الردم
قومي إكرامًا للغابات
قومي إكرامًا للأنهار
قومي إكرامًا للأنهار وللوديان وللانسان
قومي إكرامًا للانسان
اليوم... وكل يوم... حين يتوقف القصف ولو لدقائق... يطرق باب منزلنا طفل... يدخل إلى غرفة الضيوف التي حولتها إلى مجمع زراعي... فأطباق الزراعة بكل مكان... حيث يزرع أطفالي العدس والحمص على صحون صغيرة وقطن... في انتظار أن تثمر عما قريب

# آفاق بسارية

## هوامشي

على هامش المقبرة
أسطورتان اثنتان
للموت أجنحة تسابق العين
وللأحبة بكاء يعصر القلب
وعلى هامش المقبرة بقايا طرق تقاطعت في جنون
لم يعد الموت محترما بما يكفي
لنسكنه زاوية خضراء
على هامش المذبحة
تئن السكاكين تعلن شكواها
والأجساد الموغلة بالارتجاف تصمت
تخاف أن تعلن مقتلها فتثير ضجة غير لازمة
لم يعد الموت محترما بما يكفي
لنعلن الحداد
على هامش العمر الذي مشيت أكثره
كان لي من الحلم أيقونات سبع
ومن الأغاني حصاد وزيتون وعنب بلونين
في لحظة قطار تحرره القضبان فرحا بالخلاص
تضيع دروبي الباقية
لم يعد الموت محترما بما يكفي
لأعيش انتظاره الممل
على هامش القصيدة الأولى أو قبل الأخيرة
نقطة حبر حمراء
تتسع لي فيما تبقى من كلام .

# سلاماً

كفاح زعتري

أيتها المرأة سلاماً ..
سلاماً لعالي روحك .. تزرع فينا بذور الحب والدفء .. تُعشّش في أيامنا ربيعاً دائماً.
سلاماً لشاهق قامتك .. تشمخ في سماء أرواحنا تمنحنا القوة والقدرة على الثبات والعيش برؤوس عالية تطاول السماء.
سلاماً لبريق عينيك .. يلمع في سماء لياليا، يظلل وجودنا بالتوق للجميل البهي.
سلاماً لرنة ضحكتك .. تسافر في تعيس لحظاتنا، تُغرقنا ونحن راضين في بحار من الفرح والحبور.
سلاماً لدافئ بوحك .. يسري مع دمنا، يمنح الجواني منا تفاصيل أكبر، يعلمنا ألف باء الحب والحياة.
سلاماً لحنو كفيك .. تبرعم بلمساتها في ذواتنا القلقة، بتلات الطمأنينة وثمرة الأمان.
سلاماً لطيب قلبك .. يلعب معنا، يلاعبنا، يدوزن حياتنا لنعزف معه موسيقا الحلم والغد الجميل.
سلاماً .. سلاماً أيتها المرأة
لك .. منا في يوم عيدك عقد ياسمين جمعناه من حدائق بيوتنا القديمة، وأسوار حدائقها العتيقة، حمّلناه أسرارنا وعشقنا الأبدي لك ..
كيف لا ، وأنت الأم والزوجة والحبيبة والابنة والصديقة ..
كيف لا ، وأنت الساهرة أبدا لسلام روح المجتمع
كيف لا ، وأنت أمنا التي وضعت كل الديانات السماوية الجنة تحت أقدامها.
نعم ، لكِ منا في يوم عيدك ضمة حبق وزنبق وجوري ومنتور ، وبالمقابل لنا نحن منك وفي كل الأيام أبجدية الفرح التي زرعها وجودك فينا ، وموسيقا الحياة التي تنبعث معك حلماً بالجديد.
هل هي معادلة منصفة..؟!
أنه وفي يوم واحد من العام نقدم لك حالة فرح ، بينما أنت وفي كل الأيام تشكّلين لنا من حياتنا واحة للفرح والحب والسعادة والحلم الجميل..
سلاماً أيتها المرأة الوردة

# من إبداعات الثورة

# بوح

فدوى سليمان

لي وردة في مكان آخر...لي أغنية لم تغنى بعد...وكلمات لم تكتب في صفحات,ولا تنتمي لأي أبجدية..
ولي تاريخ لم يؤرخ بعد..لي الغرف اللا غرف وزمن اللا الزون وحاضر لا ماضي له..لا يعرف الحوت
أنه حوت..ولا يعرف متى وكيف ولماذا..يعرف ما يعرف وانتهى..لانعرف متى يموت غلا غذا
شاهدناه ميتا..نولد لحظة ولادة ما.. ونموت لحظة موت ما..قبل الولادة لانعرف معنى الولادة.. وقبل
الموت لانعرف معنى الموت.. قد يكون الموت لحظة ولادة ما ..والولادة لحظة موت ما..أن نكون لا يعني
البحث عن الكينونة. يعني أن نكون وانتهى ! !شكرا لكل من.. ولكل من..ولكل من..ويامن شكرا لكم
جميعا..لأنكم كنتم ولأنني ما كنت..ماكنت حتى هذه اللحظة..مااااكنت..ولم أكن..لا تعلموني ولن
أعلمكم..لاتكونوا معي لكي لا أكون معكم..دعوني لأدعكم..كونوا فأكون.. وكن فيكون.. ولله في خلقه
شؤون..فهناك المارون والعابرون..وهناك العالقون..والكادحون والفقراء والمساكين..وهناك الساجدون
والعابدون..والكاذبون والمنافقون..وهناك القاتل والمقتول..والساهون واللاهون ..وهناك الغاضبون
والحاقدونوالكارهون.. وهناك المجهولون والغامضون.. وهناك اللاأحد..وهناك الأحد..وهناك من
هناك.. وهنا من هنا..أنت وأنا ..وكل من كان ومن سيكون..ومنا المقيم قيام
القيام..فارحل..اسمع..وانظر..وتحسس..أشم الرائحة فارحل..تذوقت الطعم فارحل..لن تقيم بيننا
دهرا ولن نقبل..ارحل..خذ ماشئت وارحل..احصد ماشئت وارحل.. ستحصد مازرعت .. مازرعت لا
يشبهنا يشبهك فخذه وارحل..سنحرق الأرض منبعدك لنحرق البذور..بذورنا قلوبنا..ستخفق
بالأخضر والأحمر والأبيض..ارحل..بذورنا لنا.
آن الأوان..بإذنه آن الأوان..سمعناه ورأيناه وقال لنا:
أيها المقيمون قيام القيام..لكم ماشئتم ولي ماشئت..ومشيئتي أنكم ستعمرون الأرض..وصلتم ولم يصل
أحد قبلكم..حان البذار..أبذروا قلوبكم في لأرض..فلا الأرض إلا أرضكم..ومني لكم كل مالي..وما لكم..
لنا الحب..لنا الحب..لنا الحب..ولنا الحب لنصل قبلكم إلى ما لم نصل قبلنا..وستتبعونا..لنحرركم
منا ولنا..لنقيم مرة أخرى قيام القيام..لنقيم القيام ونعود ليعود..ثم نعود ويعود..ثم نعود
ويعود..حتى نرحل سويا إلى القيام القيام..إلى قيام اللاعودة واللاتاريخ واللا زمان واللامكان..سرمد
أبدي..إرحل أيها الراحل أصلا..ارحل بوجهك عنا.. ارحل ..لن نكتب ما يطمئن أحدا..ولن نكون كما
يريد أحد..لن نكتب مايشبهنا..فالصفحات لا تتسع لنا..سنكتب مايشبهنا بنا..ارحل ولا
تزعجنا..عجل برحيلك ولا تخذل إرادتك..أردنا أن تعيش بيننا فقتلتنا..صدقناك فكذبتنا..و0
احببناك فكرهتنا..سامحناك فذللتنا..وانتظرنا..لكنك لم تقبل بهذا..إذن إرحل فهذه إرادتك
ومشيئتك..ارحل..وسنبقى....

# إيقاعات حرة

## هتافات

سهى رحال

يبدع لاعقوا أحذية الطغاة و زبانيتهم في ابتكار هتافات تسعى قدر امكانها الى تقديس الطاغية و اذلال الشعب , يزرعونها في الأفواه كرمز للوطنية , فانت سوري اذا كنت مستعداً أن تركع و تبوس مطرح ما الطاغية يدوس , و أنت سوري اذا كنت مستعداً للتضحية بدمك و روحك فداءاً للطاغية , و أنت سوري اذا كان خيارك الطاغية لا يتقدمه الا الله و حكماً تأتي سورية بعده و بس !

هيستيريا من الهتافات المذلة و الموغلة في تحطيم كرامة المواطن على حساب تأليه الطاغية ليصبح اسمه هو البديل لكل ما ينادي به المنتفضون , بديل عن سورية و الحرية والكرامة و الشهيد ...

فالشارع قالها منذ اليوم الأول (الشعب السوري ما بينذل) وفي البداية عندما كان يجرب صوته الذي لم يختبره منذ أكثر من أربعين عاماً صرخ بكلمة واحدة (حرية) ثم اختار هتافه الشهير (الله, حرية , سورية و بس ) الذي أسقط منه اسم الطاغية و من لحظتها قد أسقطه فعلياً و جعل الحرية قبل سورية لاستحالة ان تكون سورية وطناً, بلا حرية ..

و علا صوت المنتفضين بفداء أرواحهم و دمائهم للشهيد , و لدرعا و اللاذقية و الصنمين ودوما , مرة أخرى سقط اسم الطاغية لترتفع مكانه قيم و معاني حفرت عميقاً في وجدان المواطن السوري الذي يستصرخ حريته و كرامته و عزة نفسه

أيها الطاغية لا تهتم (عندك شعب بيشرب دم ) من أكثر الهتافات استلاباً لانسانية المواطن السوري في تحد سافر و تهديد واضح للشعب الذي قابل رصاص الطاغية بهتاف لبق جداً (خاين يلي بيقتل شعبو) ...و تحدى هرواته واستكلابه بكلمة رددها كثيراً ( سلمية .. سلمية .. سلمية )....

من أول الاشارات التي التقطناها من ثورتي تونس البوعزيزي و مصر البهية أن الحرية ترتقي بسلوكيات الشعب و الكرامة تسمو بوعيه ...

في سورية الآن شعب يتعرف الى ذاته من جديد , يكتشف فيها كنوز من الحب و العطاء و العزة و الكرامة ...

في عيون السوريين الشرفاء .. الشجعان ... تلمع الحرية ... و من قلوبهم تشع قوة لن تهزمها هتافات من يهددون بشرب دمائهم

صباح السوريين الأحرار ... صباح الشعب اللي ما بينذل ...

# إيقاعات حرة

## سامحيني سورية

نسرين

سامحيني سورية
بلاد بعيدة وساكنة بين الجلدة و اللحم
سامحيني دموعي خانتني وصوتي وسط الجواجي حبس
نعرف الرّبيع بالورد يزهّر، الصيف رغم الجفاف ينوّر، الخريف يغني و يزفّر والشتاء بدموع الفرحة يمطّر ...
وأنتِ؟ ربيعك زهّر بالدّم ، صيفك ظلّم وعتم، خريفك ساكت لا تكلّم لا سلِم ... زعما ؟ زعما غُدوة ترعَد و تغيّم علّي شرّد و يتّم و ظلم ؟؟؟
سامحيني
طوال عليّ الليل و شمعتي مطفيّة... و النجوم هايمة ماعرفتش ساهمة فيك ولا فيّ... ماعندي غير التنهيدة و كبدة مشويّة ... نساك ورجالك تموت باسم الحريّة ... كيف الصغير كيف الكبير، كيف الأمّي وبعزّك ماهو جاهل، كيف القاري من دمّك زاد تعلّم ...
سامحيني ... مخي وقف مالقيت مانفهم ... حامي حمى الوطن عافس فيك ؟ فسرلي كيفاش تُقتل خوك ولد أمّك و بوك ؟ سامحني مانفهمش في الساسة ولا في السياسة، ولا في معارضة ماريونات متاع بلاتوهات تلفزية، تميّل حسب النشرة الجويّة وتقاوم بكل حزم في العملاء و الطائفيّة
سامحيني سورية
وإذا اليوم إنت سامحت و حنّيت عليّ، غُدوة يسامحوني صغارك، نوّارك وأحلامك لا سلموا في دار ولا في مدرسة من الضرب والكرتوش؟ تسامحني الليمية قلبها مكوي علّي غابوا ولليوم مارجعوش؟ يسامحني البطل ... إيه سمّيناه بطل وقعدنا نتفرّجوا فيه...خرج يصيح علينا و عليك، لا ناوي على جنّة ولا بالو بحوريات العين... خرج للموت ناوي يعيش... من القهر والظّلم تكلّم و رغم الحفا ثنيّتو صوّر و علّم ، و بصدرو العريان تقدّم...
إيه يا بطل، سمّيناك بطل و سكتنا ... خوفنا من غُدوة جمّدنا ... يا فضيحتنا قُدّام التاريخ... فرحنالك بالجنّة و تنهّدنا ... إيه حتى أحنا عالجنّة خالطين ... صايمين راكعين ساجدين أما فرق بين جنّة الشهيد وجنّة العبيد ...
سورية ترعف و تنزف ... آش باش تضمّد وآش باش تلّم
سوريا ماتبطاش و ماتطوّلش... ورد الجوري يستنى فيك ...

# من مذكرات شيوعي سوري سابق

مصطفى الجرف

تلفن لي أحد الأصدقاء معاتباً زاعماً أني أظلم الجيش السوري، فأوشكت أن أمزق ثيابي غيظاً وقهراً، فلو كنت باحثاً لأعددت دراسة مطولة موثقة تبين جرائم هذا الجيش بحق بلده وشعبه، من الانقلابات العسكرية التي قضت على الديمقراطية الوليدة وكانت الجسر الموصل إلى الاستبداد الفردي والطغيان الى المليارات التي اقتطعت من قوت السوريين لتبدد على إعداده وتسليحه الى استيلائه على أجمل سني شباب سوريا إلى جرائمه في لبنان والتي تحتاج إلى عقود من الزمن حتى يفرق اللبناني العادي بين المواطن السوري وبين الجندي السوري المحتل إلى تحوله الآن أجيراً وحارساً وحامياً للطاغية.

أما القلة القليلة ممن لا يملكون شيئاً فقد كانوا موظفين حكوميين ومدرسين أي أنهم مثقفون ثوريون جاهزون ولا يمكن تثويرهم زيادة على ما هم عليه. وكنا إذا اشتبهنا في انتماء احدهم إلى البروليتاريا ننقض عليه جميعنا كما تنقض الصقور على طريدة، بحيث ينال البروليتاري المستهدف أكثر من خمسة أو ستة مثقفين يتناهشونه بالتثوير.

وكان أن رفعنا أصواتنا بالشكوى من هذه الحالة الشاذة الى قياداتنا الشيوعية من الراسخين في علوم المادية الجدلية والمادية التاريخية فأفادونا بأن المجتمع السوري لم يكتمل فيه تشكل البروليتاريا بعد، وأن علينا انتظار التطور الاقتصادي الاجتماعي واكتمال نضج نمط الإنتاج الرأسمالي.

كان هذا – طبعاً – انتظاراً ممضاً مملاً، ولذلك كان علينا في هذه الأثناء أن نتسلى بشيء ما. وهكذا رحنا نقضي الوقت في نقاشات ظريفة لا تنتهي حول طبيعة النظام السوري: هل هو بونابارتي أم فاشي؟ وطني أم لاوطني؟ وما هي طبيعة الثورة القادمة؟ هل هي ديمقراطية بورجوازية أم اشتراكية؟ وهل التطور اللارأسمالي ممكن أم لا؟ .. إلخ من هذه التمارين الذهنية المسلية.

طبعاً لم يمض وقت طويل حتى مللت من الانتظار وأصابني الإحباط من بطء التحول في المجتمع السوري. وجاءت نكبة انهيار الاتحاد السوفييتي، وتخرجت وتزوجت وأنجبت وانخرطت في العمل... المهم أنني نسيت الأمر كله. ومضت السنون إلى أن أفقت في أحد الأيام من العقد الأول من القرن الحادي والعشرين لأرى طبقة بروليتارية كاملة الأوصاف، لا تملك إلا قوة عملها وليس لديها ما تخسره إلا أغلالها! .. وما أن اندلعت الثورة وعمت أنحاء سوريا على مدى شهور العام 2011 حتى رأيت جموعهم تملأ العين في شوارع المدن والبلدات وساحاتها في صفوف متراصة ثائرين يهتفون ويغنون ويرقصون ويقتلون ويجرحون ويضربون ويعتقلون.

لكنهم كانوا وحدهم، لم يكن الشيوعيون معهم... كانوا في مكان آخر تماماً...

في أحد رفوف مكتبتي، أحتفظُ بكتاب" الرياضيّات الحديثة" من تأليف الدكتورة "إلهام الحمصي" التي كانت مُدرّسة في جامعة حلب في بداية الثمانينات من القرن الماضي وكان كتابها هذا مقرّرا علينا في تلك الفترة.

حرصتُ طوال هذه السنين على العناية بهذا الكتاب المُمَيّز بغلافه البسيط المقسوم لمساحتين أفقيتين مستطيلتين متساويتين، إحداهما باللون الأخضر، والثانية باللون الأصفر.

احتفاظي بهذا الكتاب غير نابع من اهتمامي بمادّة الرياضيات، التي كنت وما زلت أمقتها، إلى درجة أنني – الآن – أكاد لا أتذكر من الرياضيات سوى المبادئ البسيطة في الحساب، المقرّرة على طلبة صفوف المدارس الابتدائية، وطالما شعرتُ أنني جئت إلى كليّة الهندسة بمحض خطأ تاريخي، لا مجال لتداركه الآن...

اهتمامي بهذا الكتاب البارد الجافّ، نابع من أنه يثير في نفسي مشاعر حارّة تجاه فترة عشتها في جامعة حلب في سوريا، فترة ساهمت في تشكيل وعيي ومشاعري، وجعلتني ما أنا عليه كُنّا طلابا فلسطينيين فقراء، جئنا من بلاد الشتات خارج فلسطين، وجاء بعض منّا من فلسطين المحتلة، للدراسة في الجامعة، كثير منّا لم يكن يملك سوى كفاف العيش، واكتشفنا مُبكّرا أن شراء الكتب الجامعية شكّل عائقا لكثيرين في تحصيل دراستهم على النّحو الأفضل...

كان لا بد من اختراع حيلة تجعل الفقراء منّا قادرين على امتلاك الكتب الجامعية دون أعباء مالية إضافية، وتجعل الميسورين منّا قادرين على تحسّس احتياجات الفقراء، والمساهمة في حلّها دون أن يقعوا في المنّ على زملائهم الفقراء...بعد عدة مناقشات، تفتّقت أذهاننا عن طريقة عمليّة في تبادل الكتب، فاتفقنا على أن يقوم كل واحد منّا بإحضار كتب السنة التي أنهى دراستها وتسليمها بموجب وصل إلى لجنة تشكّلت من ثلاثة طلاب، يقومون باستلام الكتب، وتصنيفها وفرزها حسب الكلّية والسنة الدراسية، وإعداد الكشوف اللازمة لهذا الغرض، وتطوّع أحد الطلاب الفلسطينيين المقيمين في حلب بتخصيص غرفتين في بيته لتكون مستودعا لتجميع هذه الكتب، فإذا جاء العام الدراسي التالي، كان من حقّ كل من تبرّع بكتبه أن يأخذ من مستودع الكتب ما يلزمه في سنته الدراسية الجديدة، بدلا عن كتب السنة الماضية التي تبرّع بها...قمنا بإعلان هذا الأمر بين الطلاب الفلسطينيين، وفوجئنا بحجم التجاوب الكبير، وخصوصا من الطلاب الميسورين، القادمين في الغالب من دول الخليج العربي، الذين كانوا يتبرّعون بكتبهم، ولا يعودون في السنة التالية لأخذ بديل عنها بل يشترون كتبا جديدة...

وفّر لديك كبر من الكتب مصرنا نبحث عن الطلاب الفقراء لنساعده ... و بر ث ن الكا ب بإعطاهم مما لدينا من مخزون...وأصبح هدا ،مر مثاد ، كافل بين الطلاب يؤمن لهم الكتاب الجامعي بكرامة دون تسوّل ولا مَنٍّ من أحد على أحد، لأنك لا تدري لمن أعطيت كتبك وممن أخذت كتبك..كنا سعداء بهذه التجربة.

"فايد ملاك" أحد طلاّب كلية الهندسة الكهربائية في الجامعة. جاء من قرية " عتّيل" التابعة لمحافظة طولكرم في فلسطين المحتلة..

فايد هو ابن لأسرة فلسطينية تنتمي إلى بيئة يغلب عليها طابع الفِلاحة وتعيش مستورة قانعة راضية بالقليل، غير أنها مثل جميع الأسَر الفلسطينية تضع تعليم أولادها في مقدمة أهدافها، وتعتبر كشأن باقي العائلات أن من العار على ربّ الأسرة أن يقصّر في تعليم أبنائه مهما كانت الظروف...

تفوّق فايد في امتحانات الشهادة الثانوية، فكان لزاما على أسرته أن تعمل كل ما في وسعها لتمكينه من متابعة تعليمه الجامعي...وهكذا توجّه فايد إلى جامعة حلب ودخل كلية الهندسة الكهربائية.

ليس في صفات فايد ملاك الخارجية ما هو مُلفت، فهو شاب رقيق الملامح، هادئ الوجه، خفيض الصوت، يجُلّله الحياء، وفي مشيته المتأنّية تكاد تلحظ عَرَجًا خفيفا ، ويعاني من رهبة الفلاّح –الخَفيّة– من المدينة، لكنّه يشعركَ بذلك الرضا والسّلام الداخلي الذي تشي به ابتسامته الخفيفة الدائمة...

لم يكن لفايد أية اهتمامات خارج الدراسة، لا شأن له بالسّياسة، ولا شأن له بجميلات حلب، ولا تراه في أي مكان فيه صخب...كان طيّبا ووديعا، وهادئا...غير أن فايدا سرعان ما أصبح محط أنظار جميع زملائه وزميلاته، ومحطّ تقدير جميع أساتذته...كان فايد ملاك متفوّقا، يحُرز أعلى العلامات ، ويتجاوز الأرقام القياسيّة للعلامات، في جامعة يفتخر فيها من يحصل فقط على علامة النّجاح...هكذا اشتهر فايد "كأشطر" طالب في كلية الهندسة الكهربائية...

كنّا كطلاب فلسطينيين مهووسين بالسّياسة ويعاني أكثرنا من فشل دراسي ذريع، أو من تواضع في نتائجه الدراسية على أحسن تقدير، وكنا نعتبر ذلك ضريبة انشغالاتنا "النّضاليّة"بما يجري في تلك المرحلة الحافلة بالأحداث والتطوّرات،كنّا نحن المُقصّرين دراسيا نفتخر بفايد ملاك، ونرى فيه تعويضا عن عجزنا الدراسي..

هكذا تواطأنا جميعا على عدم إشغال فايد بنشاطاتنا السياسية ومهاتراتنا في الاتحاد العام لطلبة فلسطين...ولم يحاول أي منا أن يستميله للانخراط في تنظيم فلسطيني، مُبرّرين ذلك بضرورة أن يخرج من بين أبناء شعبنا من هو متفوّق دراسيًا، بوصف ذلك شكلا مهمًا من أشكال النّضال...ولعلّنا لم نكن مخطئين في هذا التبرير...

فايد كغيره من الطّلاب الفلسطينيين دأب على التبرّع بكتبه إلى اللجنة المكلّفة بذلك، وكان يستلم بدلا عنها كتبا لسنته الدراسية الجديدة..

كان يسبقني بعامين دراسيّين...

عندما جئت لاستلام كتب العام الدراسي لسنتي الثالثة في الجامعة...أدخلني الزميلُ الذي يحتفظ بالكتب في بيته إلى المستودع ...وأخذنا بتجميع الكتب المقرّرة عليّ في ذلك العام...من بين تلك الكتب كان كتاب "الرياضيات الحديثة" من تأليف الدكتورة "إلهام الحمصي"...يومها استهواني هذا الكتاب لأنني رأيته في حالة جيدة وكأنه غير مستخدم من قبل، فآثرت نفسي به...عدت إلى البيت، وأخذت بتقليب الكتب التي أحضرتها من المستودع...على الصفحة الأولى من كتاب الرياضيات الحديثة، كان فايد ملاك قد كتب اسمه...إذا فهذا الكتاب هو أحد كتب فايد ملاك...شعرت بأنني سعيد الحظ لأنني سأقرأ هذه المادة بكتاب أشطر طالب في كلية الهندسة، وزاد في سعادتي أن الكتاب عليه ملاحظات وشروحات بخط فايد ملاك...شعرت بألفة مع الكتاب ومع مادة الرياضيات الثقيلة على نفسي..

كان هذا في سنة **1980** ...وهي السنة الدراسية الأخيرة لفايد في الجامعة، حيث نترقب جميعا تخرّجه، ونتابع تقدّمه في إعداد مشروع التخرّج، ونلمح ذلك الفرح الطّفولي على وجهه كلما تذكّر أنه سيعود إلى عائلته في "عتّيل" حاملا أعلى العلامات، وشهادة الهندسة، ليساعد أباه في تحمّل المسؤولية...سنة **1980** من أقسى السنوات في حلب...إنها من السنوات التي شهدت الصّراع بين نظام "حافظ الأسد" و"جماعة الإخوان المسلمين"، وحلب كانت واحدة من بؤر هذا الصراع الدّامي، الذي انتهكت فيه إنسانية الشعب السوري بحجة القضاء على " زمرة الإخوان المسلمين المارقة" كما كان الإعلام الرسمي يُسمّيها، وارتكبت في هذا العام وما تلاه، أبشع المجازر على يد "سرايا الدفاع" بقيادة "رفعت الأسد" بطل المجزرة الشهيرة في حماة...سيصادف أن تكون امتحاناتنا الجامعية في شهر تموز **1980**.وسيصادف أن تكون تلك الأيام هي آخر أيام فايد ملاك في الجامعة،

ففايد لا يفصله عن التخرج سوى هذه الامتحانات، ومناقشة مشروع التخرج، بعد ذلك سوف يعود سالما غانما إلى أهله في فلسطين...

كنتُ منهمكا مع زميليّ في السكن بالدراسة والتحضير لامتحانات ذلك العام...كنّا نسهر طوال الليل وننام طوال النهار..وكنا قد استأجرنا منزلا بسيطا، له حديقة مليئة بالورد والأشجار في حيّ سيف الدولة...كانت الحديقة هي المكان المفضّل لدراستنا حيث توفّر لنا جوّا لطيفا في ذلك الصيف القائظ...

فايد ملاك يسكن في حيّ الأنصاري مع زميله "جمال الظاهر" الفلسطيني القادم من لبنان، والذي لا يقلّ تفوّقا عن فايد..فالطيور على اشكالها تقع...

حيّ الأنصاري ليس بعيدا عن حيّنا...وأجواء حلب متوتّرة بفعل اقتحام "سرايا الدفاع" لها وتمشيطها بيتا بيتا، واعتقال أو قتل الناس عند أقل شبهة..وحالتنا النفسية لا تقلّ توتّرا بفعل ما نسمع من فظائع، وبفعل ضغط الامتحانات في أجواء كهذه...

فجأة سيشقّ سكون حديقتنا أصوات زخّات من الرصاص ودويّ انفجارات...وسيقول زميلي "حمزة" طالب الطب العارف بأحياء حلب، أن الصوت قادم من جهة حيّ الأنصاري، وسيؤكد على ذلك زميلنا الثالث في السكن، االفلسطيني "عمّار" –القادم من مخيم اللاجئين في مدينة حمص– والذي يدرس الهندسة المدنية...وسندخل في تكهّنات حول ما يجري قربنا..ثم سنتابع دراستنا لامتحانات الغد...

في اليوم التالي سيعود زميلنا "حمزة" – وهو سوري من دير الزور– من الجامعة حاملا جريدة، وهو يسألني ويسأل عمارًا إن كنّا نعرف شابّا فلسطينيا اسمه "فايد ملاك"...وسنجيبه أن فايد ملاك أشهر طالب في كليّة الهندسة، وانّه صديقنا...سيرتبك حمزة وهو يدفع لنا بالجريدة...وسنقرأ فيها خبرا عن مقتل أحد أفراد "زمرة الإخوان المسلمين المارقة" أثناء اقتحام "وكر" لها في حيّ الأنصاري في الليلة الماضية...وسيخبرنا حمزة أنه سمع من الطلاب في الجامعة أن القتيل شاب فلسطيني اسمه "فايد ملاك"...لم يكن بوسعنا تصديق ذلك...لايمكن لأحد أن يصدّق أن فايد ملاك، له علاقة بأي شئ غير دراسته...ولا يمكن لأحد أن يصدّق أن فايد ملاك يفكر في غير العودة بشهادة الهندسة، إلى أمه وأبيه في " عَتّيل"...

قلنا لحمزة هذا غير صحيح..وفايد ضحية جريمة ولا شأن له بما يجري...

م يقتنع أي شخص عرف فايد ملاك بأنه كان عضوا في " زمرة الإخوان المسلمين المارقة"، ولم تعتبر جماعة الإخوان فايدا واحدا من أفرادها حتى اليوم.لكن اسمه أصبح منذ اليوم التالي لمقتله اسما "ملعونا" على لسان زملائه الطلاّب المرتبطين بالنظام كقطيع يردّد ثغاء الإعلام الرسمي في وصف فايد بالمجرم ...وسيصبح حادث مقتله مثالا لمصير مرعب لكل من يفكر بأي كلمة ضد النظام...وأما نحن أصدقاؤه فسنكتم غيظنا، ودموعنا، وسنتجنب ذكر اسمه أو أي علاقة لنا به خوفا من ملاقاة مصيره...

سنعرف فيما بعد أن فايد ملاك كان وحيدا في البيت، وأنه كان يدرس لتقديم امتحان المادة الأخيرة التي تفصله عن التخرج، وسنعرف أن "جمال الظاهر" ، زميله في السكن والكليّة، لم يكن معه في تلك الليلة...وأن باب البيت تعرّض لطرق شديد محموم، وأن فايدا نادى على جيرانه خائفا، مستنجدا، وأن الجنود المقتحمين قد أمطروا الباب بوابل من الرصاص، وأن فايد ملاك كان يقف خلف الباب، وأنه قُتل على الفور، وأن جثته قد سُحبت من رجليه، وأن رأسه النازف ارتطم بالأربعين درجة من باب شقته إلى الشارع، وأن جثته تُركت في الشارع لعدة ساعات كي تكون عبرة لمن يعتبر، وأن والده أتى إلى حلب بحثا عن جثة ابنه، وأن والده عاد خائبا دون أن يعرف مصير جثة ابنه..وأن والده سيصاب بعد عودته بحالة نفسية ستجعله يسير في شوارع "عتّيل" محدّثا نفسه، وأنّه سيموت بعد ذلك كمدا وحزنا على فلذة كبده....وسنعرف أن "جمال الظاهر" قد هرب وغادر سوريا ولم يتخرج من الجامعة، وستنقطع عنّا أخبار جمال الظاهر منذ ذلك اليوم، ولن نعلم عنه شيئا حتى الآن!!!وسنعرف بعد تلك الحادثة بعدة شهور، أن أحد طلاّب كلية الطب سيعود مذهولا من درس التشريح، وهو يهذي باسم فايد ملاك...وعندما يتمالك نفسه سيحكي كيف وجد على طاولة التشريح، في كلية الطب، في جامعة حلب، جثّة صديقه فايد ملاك ممُدّدة أمامه كي يقوم بتقطيعها وتشريحها...وسيحكي كيف هرب من درس التشريح، بحجة الإقياء والغثيان من رائحة المواد الحافظة للجثث...سأعترف الآن أنني نجحت في ذلك العام بمادة الرياضيات الحديثة بعلامة جيدة ومن المرّة الأولى...وسأعترف أنني نكثت بتعهدي بإعادة الكتاب إلى المستودع لتتمّ الاستفادة منه من قبل أحد الطلاب المحتاجين...

# الرقة تنتفض . .

مظاهرة وتشييع الشهيد علي البابنسي

إلى من خان اللحظة التاريخية ،نعلن أننا خرجنا من توابيت الموتى إلى فناء الحرية.

اليوم العالم يشاهد الرقة وهي تدخل إلى العام الثاني من عمر الثورة مشيعة ابنها الشهيد البطل علي البابنسي البالغ من العمر 16عاما ،خرجت تهتف الى الشهيد والحرية والى نصرة المدن المستباحة بتظاهر سلمي مدني راقي دون اي مظهر للعنف من قبل المشيعين .
لقد انزلوا كل صور الطاغية ومزقوها كما انزلوا اعلام البعث وكل اليافطات التي يعلقها النظام دون اي تخريب.
يالله ماعظمك ايها الشعب الذي تحافظ بسلميتك على ممتلكات الشعب، شكل المتظاهرون سلاسل بشرية لحماية المستوصفات والدوائر التي كانت في طريق التظاهرة والمصارف التي كانت في شارع 23 شباط.
الرقة خرجت من عنق الزجاجة التي اودع النظام بها اهل مدينتي اليوم كسرت عصر عبودية النظام، لقد غاب الرعب الذي مارسة نظام القتل على شعبنا اليوم تتشارك الرقة مع شعبنا الذي يصارع القتلى الى ساحات الحرية عشرات الآف لم يخرب مواطنا اي مكان الى ان جاء الجيش ورجال الامن ليحولوا التظاهرة السلمية الى ساحة للقتل عناصر الامن وكتائب الاسد
اهم ماكان في مظاهرتنا اليوم هو التالى:
1ـ الرقة تعلن ولائها كليا الى الثورة .
2ـالرقة طلقت عصر العبودية .
3ـالرقة انزلت كل صور الطاغية.
4الرقة انزلت اعلام البعث كافة ورفعت الى السماء في فضاء الرقة اعلام الاستقلال
5 التظاهرة اتجهت الى تنزيل صنم الطاغية فباشر جنود وعناصر الامن باطلاق جنوني للرصاص الحي.

فلتفخري يامدينتي التي أعلن ألتحامي وفخري بك اليوم أنت شمعة تنير طريق الثورة الرحمة لشهيدنا الذي عمد يدمه تراب الرقة لتخرج الرقة منتفضة دفاعاً عنك وعن من سقط في هذة التظاهرة المجد للشهداء والشفاء للجرحى والعار لمن أطلق النار على أبناء أهله وشعبه.

# القضاء العادل والحريات والديمقراطية

## بدون قضاء عادل لا يمكن الحديث عن دولة وحقوق وحريات وديمقراطية

بقلم المحامي: أنور البني

الخلل بقانون السلطة القضائية والمؤسسة القضائية يؤدي للخلل والفساد بالدولة والمجتمع

القضاء هو الملجأ الأساسي للمواطن للحصول على حقوقه ومنع التعدي عليها وهو الذي يوضح حدود وصلاحيات كل سلطة من السلطات التنفيذية والتشريعية ويمنع التجاوزات ويحمي حريات وحقوق المجتمع .ويعتبر المرجعية المستقلة والحيادية والنزيهة لحّل المشاكل وإظهار الحقوق ولكن القضاء في سوريا فقد استقلاليته وحياده وأعطى السلطة التنفيذية موقع الهيمنة والوصاية عليه بموجب التعديلات التي قامت بها سلطة البعث على قانون السلطة القضائية الصادر برقم **24** لعام **1966**, فقد أعطى الدستور رئيس الجمهورية حق رئاسة مجلس القضاء الأعلى وأعطى السلطة التنفيذية مجالا أوسع للهيمنة على القضاء فقد نصّت المادة **65** المعدلة من قانون السلطة القضائية على أن مجلس القضاء الأعلى يشّكل من وزير العدل ومعاون وزير العدل ورئيس هيئة التفتيش القضائي والنائب العام التمييزي ورئيس محكمة النقض وأقدم مستشارين لدى محكمة النقض, مما يعني أنه بالإضافة إلى رئيس الجمهورية فإن خمسة من أعضاء مجلس القضاء الأعلى هم من السلطة التنفيذية وتحت وصايتها المباشرة بينما اثنان فقط من الهيئة القضائية, مما يؤدي إلى هيمنة كاملة على القرار من قبل السلطة التنفيذية.

وحيث أن مجلس القضاء الأعلى هو السلطة المخولة بتعيين القضاة وتسريحهم وترفيعهم ونقلهم وتأديبهم وكل ما يتعلق بشؤونهم مما يعني أن قضاة الحكم تحت الوصاية الكاملة لوزير العدل منفذين لأوامره وبنصّ القانون فإن قضاة النيابة هم تابعين لوزير العدل إداريا وتنفيذيا منفذين لأوامره. هذا يعني أن كامل الهيكلية القضائية هي تحت السيطرة والهيمنة لوزير العدل, وتعدم أي استقلال أو حيادية لديها وتصبح أداة أخرى بيد السلطة التنفيذية وأجهزتها للتحكم بالمجتمع والسيطرة عليه , هذا بالإضافة إلى إخضاع القضاء لقانون العاملين الموحد ومعاملتهم أسوة بموظفين الدولة بالنسبة للراتب والمعاملة والترفيع بدون أيّ ميزات مما أدى إلى وضع اقتصادي متردٍ للقضاة وشكّل البيئة الملائمة والمناسبة لنمو الفساد والرشوة بعلم السلطات ومباركتها ورضاها طالما القاضي ينفذ ما هو مطلوب منه, أما إذا دفعت الشهامة أو التمسك بالقانون بأي قاضٍ ليحكم بالعدالة مخالفا الأوامر فسيف التفتيش مشرع بوجهه وإذا كان من القضاة الشرفاء فسيف النقل والتأديب جاهز وفي حالات أخرى فإن التسريح موجود دائما لمعالجة الحالات المستعصية (تم تسريح عشرات القضاة لأسباب سياسية), هذا الوضع أدى إلى ترد خطير في وضع القضاء ومؤسساته وتحّولها إلى أدوات قمع, هذا بالإضافة إلى أن الدولة بسلطتها التنفيذية هي أول من تجاهل القضاء وأهانه بتجاهلها المتعمد تنفيذ قراراته القطعية ولم تكتف بذلك بل نصّبت نفسها وصيا ووليا على القضاء بإعادة النظر من قبلها بالقرارات النهائية الصادرة عن أعلى مرجع قضائي ( شكّل رئيس الوزراء لجنة للبت بمدى صحة القرارات الصادرة بالدرجة النهائية والموضوعة لدى دائرة التنفيذ لتنفيذها بحق إدارات ومؤسسات الدولة؟ ) وهناك آلاف القضايا والدعوى بحق الدولة ومؤسساتها وإداراتها والتي أصبحت مبرمة وواجبة التنفيذ بقضايا تعويض عن ضرر أو استملاك أو قرارات غير شرعية ولم تنفذها الدولة حتى الآن رغم مرور سنين عديدة, بهذه الطريقة المتعالية تتعامل السلطة التنفيذية مع القضاء وأحكامه, ولا يقتصر هذا الموضوع على السلطة التنفيذية كإدارة بل يشمل الأجهزة الأمنية حيث تعطي لنفسها الحق بالتحقيق بالقضايا وقرارات القضاة واستدعاء المحامين والقضاة وهناك عدد كبير من القضايا التي تدخل بها الأمن وحقق بها وأحال قضاة ومحامين إلى السجون باتهامات تتعلق بالقضايا القانونية التي صدرت بها قرارات أصبحت نهائية غير عابئ بالحصانة القضائية وكرامة القضاة مع أن القانون يسند هذه المهمة لمجلس القضاء الأعلى وهيئة التفتيش القضائي وحدها. وهي صاحبة الصلاحية الوحيدة بالتحقيق مع القضاة واتهامهم ومحاسبتهم.

ومع أن قانون السلطة القضائية المادة / **81** / يحظر على القضاء الالتزام الحزبي الا ان هذه المادة لا تطبق وعلى العكس فالانتماء لحزب البعث هو جواز مرور للوصول الى سلك القضاء وكذلك لمنحهم الترفيع والقضاة الحزبيين يعقدون اجتماعاتهم الحزبية في القصر العدلي وخصصت غرفة لهم لممارسة نشاطاتهم الحزبية وخصصت قاعة كبيرة للاحتفالات الحزبية / قاعة البيعة/ مما يعني عدم استقلالية أو حيادية القضاء. وعدم وجود قضاء يركن إليه الناس للوصول لحقوقهم يؤدي إلى تحويل المجتمع إلى غابة البقاء فيها للأقوى ولو إلى حين.

لا يمكن أبدا الحديث عن أية حقوق قبل وجود سلطة قضائية تحمي هذه الحقوق من الانتهاك . وتعديل قانون السلطة القضائية بحيث يعيد استقلالها, وإعادة تأهيل القضاة ورفد السلك القضائي بأشخاص لهم سمعة بالنزاهة والخبرة القانونية . وتحسين وضع القضاة المعيشي وإعطائهم وضعا وظيفياً خاصاً. وتسريح القضاة الحزبيين, وإعادة هيكلة المحاكم وزيادتها وتنويع اختصاصها واستقرار القضاة لكسب الخبرة , وفصل النيابة العامة باعتبارها تابعة لوزارة العدل عن السلك القضائي التابع لمجلس القضاء الأعلى.

إن وجود سلطة قضائية مستقلة وحيادية ونزيهة وعادلة هو شرط أولي وضروري لأي تغيير, وبدونه لا يمكن الحديث عن دولة وحقوق وحريات وديمقراطية.

مما يجعل شعار "القضاء أولا" شعار بناء سوريا القادمة.

# البيان التأسيسي

تداعت مجموعة من القوى والتيارات والشخصيات المستقلة لتأسيس "ائتلاف وطن" بهدف تعزيز الانخراط في ثورة شعبنا السوري والمساهمة في تذليل العقبات التي تعترضها، من قبيل المساهمة في إنتاج رؤية سياسية للثورة، وردم الهوة بين القوى السياسية والحراك الشعبي، وتعزيز السلم الأهلي... واتفقت على ما يلي:

-1 إنّ هدف ثورتنا الذي لا محيد عنه هو إسقاط النظام وبناء الدولة المدنية الديمقراطية- دولة القانون والعدالة والمواطنة المتساوية، دولة جميع مواطنيها بصرف النظر عن القومية والجنس والدين والطائفة؛

-2 إنّ إسقاط النظام وبناء الدولة المدنية الديمقراطية يتطلّب إقامة أوسع تحالف ممكن يضمّ كل فئات شعبنا وأطيافه وتعبيراته السياسية، التي نحن جزء منها، وندعوها جميعاً إلى رصّ صفوفها وتنسيق عملها؛

-3 إن ثورة شعبنا السوري هي ثورة من أجل الحرية والكرامة مثلما هي ثورة لتحقيق مطالب الشعب في الخلاص من الفساد والنهب وإخفاق التنمية وهدر كافة حقوقه السياسية والاقتصادية والاجتماعية، وهي بهذا المعنى تعبرّ موضوعياً عن مصلحة الشعب السوري بكل طبقاته وأطيافه وتنتظر انضمام الجميع إليها مهما تأخروا؛

-4 التأكيد على حقوق الأقليات القومية في إطار وحدة سوريا أرضاً وشعباً، ومن خلال مبادئ دستورية واضحة؛

-5إنّ الطابع السلمي للثورة قيمة أخلاقية تتفوق فيها على النظام القمعي الوحشي وإستراتيجية ناجعة في مواجهته؛

-6 مع التأكيد على سلمية الثورة، فإننا نرى في انشقاق العسكريين لدوافع أخلاقية وسياسية، وتشكيل ما يعرف اليوم بالجيش السوري الحر، هو نتيجة لإقحام الجيش في قمع أخوته وأهله، ونشدد على ضرورة التزامه بما تراه القيادة السياسية التي تفرزها قوى الثورة؛

-7 تأكيد حرصنا على إقامة علاقات متوازنة مع كل دول المنطقة والعالم (باستثناء إسرائيل)، بما فيها تلك الدول التي تقف الآن إلى جانب النظام، وندعو هذه الأخيرة إلى تصويب مواقفها بحيث تربط مصالحها بمصالح الشعب السوري الباقي لا بمصالح النظام الزائل، كما نؤكد على بناء هذه العلاقات بما يحفظ سيادة سوريا الكاملة غير المنقوصة ويساعد في الوقت نفسه على حقن دماء السوريين؛

-8 التأكيد على أنّ تحرير أرضنا المحتلّة والوقوف إلى جانب الشعب الفلسطيني في نضاله لتقرير مصيره ليس محلاً لأيّة مساومات في سياق إنجاز الثورة؛

-9 مع حرصنا على تحقيق أهداف الثورة بالقوى الذاتية للشعب السوري العظيم، فإننا نحمّل النظام كامل المسؤولية عن خطر التدخل العسكري الخارجي, بإصراره على الإيغال بالخيار الأمني الوحشي, ورفضه الإصغاء إلى مطالب الشعب السوري؛

-10إننا في "ائتلاف وطن"، مثل غيرنا من القوى والتعبيرات السياسية ومنظمات المجتمع المدني، نسعى إلى مختلف درجات التنسيق في توجهاتنا ونشاطاتنا، تبعاً لما تقتضيه الضرورات، بدءاً من القيام بخطوات عملية ميدانية وسياسية مشتركة، وصولاً إلى أوسع آفاق التعاون والتشارك والوحدة، وبما يبقي المجال مفتوحاً لاشتراك كل الأفراد والقوى والمجموعات الداعمة للثورة.

المجد والخلود لشهدائنا الأبرار

والحرية لمعتقلينا والشفاء لجرحانا

النصر لإرادة شعبنا

ائتلاف " وطن "

دمشق في 13/2/2012

# عام من الثورة

شعبنا السوري العظيم

لك المجد من قبل وبعد..

عام مضى على الصرخات الأولى للمتظاهرين في "مملكة الخوف"، قدّم خلالها شعبنا البطل تضحيات أسطورية، قوافل من الشهداء والجرحى والمعتقلين والمهجرين لنيل الأهداف التي انتفض من أجلها في الحرية والكرامة والعدالة.

سنة كاملة أعلن فيها السوريون بوضوح لا يقبل المساومة أن سوريا جديدة يجب أن تتجسد، سوريا الدولة والكيان والمواطنة، سوريا القانون والعدالة والمواطنة المتساوية، دولة جميع مواطنيها دون تمييز.

لقد رد النظام على أمنيات وإرادة شعبنا –ومنذ تباشير ثورته– بالمواجهة الأمنية والعسكرية في سعي استباقي لعرقلة هذا الانعتاق السوري باتجاه الحرية، وما زال مصراً حتى اليوم على متابعة الأسلوب ذاته كخيار وحيد ومصيري.

إن تغول النظام في مواجهة ثورة شعبنا، ومحاولاته البائسة لحرف الصراع واستنقاعه، يحمل أخطار جدية تهدد أسس المجتمع ومدنيته ووحدته، وهذا ما يمنح شعار إسقاطه وضرورته بعداً وطنياً بامتياز. وبالمقابل يعطي أهمية خاصة لتمسك شعبنا بوحدته وتكاتفه.

يا أبناء شعبنا العظيم، كنتم وتظلون إرادة التغيير الحقيقي، صنّاعه، وقوده الذي لا ينفذ، وعبر دماؤكم ولحمكم الحي تجسدون إرادة جميع السوريين الراغبين بإقفال الطريق نهائياً على نموذج الدولة الأمنية المتهالكة.

إن مسيرتكم الطويلة بدأت وقطعت شوطاً هو أسطوري بمختلف المقاييس، ويجد النظام نفسه بسبب من سياساته الرعناء في مواجهة شعبنا معزولاً ومحاصراً أكثر فأكثر، يخسر كل اليوم المزيد من أوراق قوته، على طريق سقوطه النهائي.

يكفي ثورتنا نبلاً أن قوة المعادين لها لم تزدها إلا إصراراً على المضي قدماً والاتساع مساحة وعمقاً لتكون بحق ثورة جميع السوريين من أجل جميع السوريين ولتنال إرادة التغيير كل مناحي الحياة وكل الأطر السياسية والاجتماعية والروحية.

وعليه فلا أجدى اليوم من ضرورة توحيد هذه الطاقات الحية لقوى المجتمع السوري التي نهضت واستعادت المبادرة وأدركت باحتراف وذكاء الأهمية الاستثنائية لوحدة عملها وتنظيم خبراتها وتجاربها، وتنتظر بصبر أن يتجسد ذلك في وحدة قوى المعارضة من اجل تلبية هذه الضرورات.

إننا في ائتلاف وطن بكل مكوناته نتعلم منكم وعبركم المعاني الحقيقية للعمل الوطني ونجد أنفسنا واحداً من التجليات الكثيرة التي أبرزتها قواكم الصاعدة التي مازالت جعبتها تحفل بالكثير من الانجازات والإبداعات.

أيها الأخوة في الوطن جميعاً !!

عام على التظاهرة الأولى في العاصمة دمشق، حيث هدر صوت جموع السوريين بـ"الشعب السوري ما بينذل"، و" واحد واحد واحد الشعب السوري واحد"، هما مفهومان عميقان في روح هذه الثورة وآفاق تطورها المتنامي وسيبقيان اليوم وغداً بوصلة هذا التطور...

المجد كل المجد لتضحياتكم وبسالتكم وإصراركم

المجد كل المجد للشهداء.. والشفاء والعافية للجرحى

المجد لسوريا حرة ديمقراطية

ائتلاف وطن

دمشق في 15-3-2012

# النظام الداخلي للائتلاف العلماني

مقدمة:

بعد أكثر من عشرة أشهر على ثورة شعبنا العظيم وتوافقاً مع الحراك السياسي والاجتماعي العريق والمتجدد في سوريا تنادت مجموعة من القوى السياسية والشخصيات العلمانية لتشكيل ائتلاف سياسي و اجتماعي يناضل من أجل بناء سوريا كدولة مدنية ديمقراطية تعددية حرة مستقلة استناداً إلى مبادئ أساسية أهمها:

أولاً: فصل الدين عن الدولة بما يفيد ذلك من نزع للقداسة عن السياسة, إضافة لمساواة جميع المواطنين بغض النظر عن الدين أو القومية أو الجنس أمام القانون على أساس مبدأ المواطنة الكاملة المتساوية في الحقوق والواجبات مع الإقرار بحرية الاعتقاد وحرية ممارسة الشعائر والرأي والتعبير إلى آخر ما يترتب على ذلك من حقوق للمواطنين يقرها الدستور.

ثانياً: الفصل الكامل بين السلطات التشريعية والتنفيذية والقضائية واعتبار البرلمان السوري بوصفه ممثلاً للشعب مصدراً رئيساً لكافة السلطات ونظراً لوجود حاجة ماسة تفرضها طبيعة الواقع السوري ولضرورة العمل الجاد والدؤوب على تمثيل كافة مكونات الشعب السوري باتجاه دعم الثورة وتعزيز التلاحم الوطني والسلم الأهلي لضمان حقوق جميع المواطنين على أرضية وحدة سوريا أرضاً وشعباً, إضافة إلى تثبيت حقوق كافة مكونات الشعب السوري دستورياً على أساس مبدأ المواطنة الكاملة المتساوية في الحقوق والواجبات في إطار دستور عصري يضمن حقوق جميع المواطنين ويحصر صفة الأقلية والأكثرية في الميدان السياسي فقط ويعزز مشاركة الجميع في بناء دولة الحق والقانون على أساس مستمد من مبدأ المواطنة المستند إلى سلطة الشعب بعيداً عن التسلط والمركزية.

لهذه الأسباب مجتمعة فقد اتفقت بعض الحركات والأحزاب والتيارات والشخصيات المستقلة على ضرورة إنجاز ائتلاف للقوى العلمانية والمدنية والديمقراطية في سوريا وفق التعريفات والأسس التالية:

أولاً: اعتبار مقدمة هذا النظام جزء لا يتجزأ منه.

ثانياً: اسم الائتلاف : ائتلاف القوى العلمانية الديمقراطية في سوريا.

ثالثاً: مقر الائتلاف: مدينة القاهرة في جمهورية مصر العربية إضافة لضرورات إنشاء مكاتب أخرى بحسب متطلبات نشوء الحركة في المغترب أو في الداخل السوري.

رابعاً: البنية التنظيمية للائتلاف:

-1 المؤتمر العام: يتكون من ممثلي الأحزاب والحركات والتيارات وكذلك الشخصيات المستقلة التي تقبل ببرنامج هذا الائتلاف والأوراق المنبثقة عنه وتعمل على تحقيقه وتلتزم بقراراته ونظامه الداخلي وينعقد سنوياً.

-2 هيئة العمل: يتم انتخابها من قبل المؤتمر العام. تتشكل بنسبة الثلثين لممثلي الأحزاب والحركات والتيارات بالتوافق فيما بينهم وبنسبة الثلث للمستقلين الذين يتوافقون أيضاً على ممثليهم فيها وفي حال انضمام تيارات جديدة إلى الائتلاف يجري ضمها عبر ممثل واحد إلى هيئة العمل بقرار من هذه الهيئة.

-3 اللجنة السياسية: يتم انتخابها من قبل هيئة العمل لتنفيذ الرؤية السياسية للائتلاف وطرح المبادرات واتخاذ القرارات السياسية وإجراء المفاوضات مع الأطراف والأحزاب والائتلافات الأخرى وتتكون من سبعة أعضاء.

-4 تقوم اللجنة السياسية بانتخاب المنسق العام ونائبه وأمين السر.

-5 المنسق العام: تنحصر مهمته بتمثيل الائتلاف بتفويض من اللجنة السياسية في كافة المجالات والمهام التي توكل إليه من قبلها.

خامساً: تقوم هيئة العمل المنبثقة عن المؤتمر العام بتشكيل اللجان التالية:

-1 اللجنة المالية.

-2 اللجنة القانونية.

-3 لجنة الإعلام والعلاقات العامة.

-4 اللجنة الرقابية.

-5 اللجنة التنظيمية.

ويعاد انتخاب هذه اللجان وتجديدها في كل مؤتمر عام سنوي ينعقد للائتلاف. وتشكل حالياً في الداخل السوري لجان موازية مرتبطة بهيئة العمل بما يخدم مبادئ الائتلاف ويعمل على توسيع عمله على كامل مساحة الوطن السوري على أن يتم توحيد هذه اللجان بعد انتهاء الظرف الحالي.

سادساً: شروط العضوية في الائتلاف:

-1 القبول: يمكن لأي حزب أو حركة أو تيار أو هيئة أو شخصية مستقلة سورية أن تطلب الانضمام لهذا الائتلاف شرط الموافقة على برنامجه وقراراته ونظامه الداخلي. ويتم القبول بعد موافقة الأكثرية النسبية من أعضاء هيئة العمل.

-2 تعليق العضوية: يمكن لهيئة العمل تعليق عضوية أي من مكونات الائتلاف في الحالات التالية:

- بناء على طلبه.
- إذا أساء للائتلاف وخرج عن قراراته قولاً وفعلاً.
- إذا لم يلتزم باجتماعات الائتلاف المقررة وفق النظام الداخلي وضرورات العمل بدون عذر مبرر لأكثر من ثلاث مرات .

-3 التجميد أو الفصل: يحق لهيئة العمل طلب فصل بعض مكوناتها في حالة :

أ- معاداة الثورة السورية.

ب- الخروج عن المبادئ العلمانية والديمقراطية التي أقرها المؤتمر التأسيسي لهذا الائتلاف.

وفي جميع الحالات يحق للمتضرر من طلب تعليق العضوية أو تجميدها أو الفصل أن يطلب من اللجنة الرقابية النظر بمدى مشروعية هذا القرار.

-4 في حال انسحاب أي من ممثلي التيارات أو الشخصيات المستقلة أو تجميد عضويته أو فصله... الخ تبقى هيئة العمل متشكلة مالم يبلغ الانسحاب نصف أعضاء هذه الهيئة وفي هذه الحالة يجب الدعوة لانعقاد مؤتمر عام لمعالجة الحالة وإعادة التشكيل.

سابعاً: يخضع هذا النظام الداخلي للتعديل وفق تغير الظروف والضرورات على ألا يتنافى مع التوجه الثابت للائتلاف وأهدافه ورؤيته بناءً على اقتراح ثلث أعضاء المؤتمر العام وخلال انعقاده وبموافقة الأكثرية المطلقة.

# بيان صادر عن
# ائتلاف القوى العلمانية الديمقراطية في سوريا

عام على الانتفاضة

عام مرّ على انتفاضة شعبنا السوري العظيم ، هذه الانتفاضة التي انطلقت من جنوب الوطن الحبيب ، لتمتد على كامل ساحات الوطن : من وسطه ، إلى ساحله ، إلى شماله ، إلى باديته ، مروراً بعاصمته وريفها ، مشركةً فيها أطياف وفئات هذا الشعب العظيم كافة التي انتفضت مطالبة بالحرية والكرامة، وحقوقها المتساوية في المواطنة الكاملة .

لقد عملت السلطة جاهدة على تحطيم هذه الانتفاضة من خلال القمع الوحشي الذي تتقنه جيداً ، بالتوازي مع خطاب إعلامي حاول تصوير الانتفاضة على أنها مؤامرة تحوكها الدوائر الاستخبارية، بغرض تحجيم " المانعة السورية "، متجاهلة أن عماد هذه الانتفاضة ومحركها هو الشعب الثائر المطالب بحقوقه المشروعة في الحرية و العدالة والكرامة ، وأن هذا الشعب وحده هو جذر وأساس المانعة .

وبعد إ دراك السلطة أن الشعب الذي انتفض وكسر حاجز الخوف لم يعد يرهبه القمع المستخدم في مواجهته فقد حاولت جر الانتفاضة إلى شكل من أشكال الطائفية والتسلح ، ليقينها أن أكثر أسلحتها فتكاً هو تقسيم الشعب المنتفض عمودياً عبر تحييد وتخويف الأقليات القومية والدينية والطائفية ، مضافاً لذلك تبرير استخدامها العاري لقوة السلاح في مواجهة "عصابات مسلحة أو مندسة " مفترضة .

إننا في ائتلاف القوى العلمانية الديموقراطية السورية نعتقد أن السلطة وإن نجحت جزئياً في مسعاها إلا أن ذلك لا يقلل إطلاقاً من زخم وشعبية وسلمية الانتفاضة السورية في منحاها العام،

وما ازدياد نقاط التظاهر وتوسعها إلى أكثر من منطقة إلا دليل على أن الشعب السوري الذي قدم آلاف الشهداء وعشرات آلاف الجرحى والمعتقلين والمهجرين على مذبح سعيه لنيل حريته وكرامته مازال ماضٍ في الطريق الذي اختطه نحو إسقاط النظام ،وإقامة الدولة الديموقراطية التي ينشد .

كما أننا نعتقد أن واجبنا تجاه شعبنا يقتضي منا أن نبقى أوفياءً لما توافقنا عليه عند تشكيل هذا الائتلاف من الوقوف حتى النهاية في صف الثورة، وبذل كل الجهود الممكنة في سبيل توحيد عمل أطياف المعارضة كافة، لأننا بذلك نقدم خدمة مباشرة لنجاح هذه الانتفاضة، وتقليل حجم معاناتها ، وصولاً إلى إسقاط النظام ،وإقامة الدولة التي تستجيب لطموح الشعب السوري العظيم : الدولة التي تقوم على مبدأ المواطنة الكاملة المتساوية غير المنقوصة ، دولة الحق والقانون والعدالة ، الدولة التي يتساوى فيها الجميع بغض النظر عن الدين أو الجنس أو العرق أو القومية أو المعتقد ..... دولة الحرية والكرامة

عاشت انتفاضة شعبنا المجيدة ..... والنصر آتٍ لا محالة

# قبل الوداع

كان الغياب عنكم مؤلما .. كنا نحاول سبر ما نفعل .. لم وكيف

الأرق صناعة متعبة , لكنها تسكن النفوس القلقة للتعبير عن حاجتها الدائمة للبحث

وبين أخذ ورد اكتشفنا أن صلة من كلام أنشأناها وإياكم ومن المؤلم تعطلها

وبالرغم من شعورنا بالرهبة لا عادة اطلاق المجلة فقط على الشبكة والتوقف عنها ورقيا

قلنا في أنفسنا على هذه التجربة أن تستمر وتبدأ بتحضير نفسها لتكون عملا صحافيا

في الادارة والمتابعة والاخراج الفني

وحتما في تبني فكر هو اليوم يتلمس خطوات جديدة في دروب غير مطروقة

تجاوب الكثيرون - ربما هذا أجمل أرصدتنا -

وعدنا كما ترون مستلهمين من ذكرى عامها الأول منطلقا

لم ولن تتعطل لغة الكلام

وهي ابنة السنة ونحن أبناء البحث مستمرون

أسرة المجلة